العربـــان في مصر "بين الإعتداء والولاء"
زمن المماليك الجراكسة(784-923هـ/ 1382-1517م)

إيمان مصطفى عبد العظيم



المجلد 40، أكتوبر - ديسمبر
- الرقم المسلسل للعدد 4
أكتوبر 2012
الصفحة 471-419

كلية التربية - جامعة عين شمس

العربـــان في مصر "بين الإعتداء والولاء" زمن المماليك الجراكسة(784-923هـ/ 1382-1517م)

إيمان مصطفى عبد العظيم (*)

الملخص

فتح العرب المسلمون مصر على يد القائد الفذ عمرو بن العاص عام 22هـ/ 642م، فتوافد العرب (بدو الجزيرة العربية) على مصر للعيش فيها والإستقرار على أراضـــيها، غير أنهم في هذا الإستقرار ظلوا متمسكين بسماتهم البدوية الصارخة، وبعد عدة ســـنوات اندمج العرب مع المصريين وصاهروهم، بل واحترفوا مهنتهم الأولى" الزراعة"، غير أن هذا الإندماج جاء من فئة قليلة من العرب في مصر لا كل العرب، فظـــل جـــزء مـــنهم متمسكاً بعاداته وتقاليده البدوية في كل شئ عبر عصور الدولة الإسلامية، وفي العـــصر المملوكي- وبخاصة الجركسي(784-923هـ/1382-1517م)- تميزت العلاقـــة بـــين العرب أوالعربان- كما أطلق عليهم في العصر المملوكي- والسلطة الحاكمة بطابع خاص هو الرفض والاحتجاج في أغلب الأوقات فالعرب أو "العربان" لم ينسوا للمماليك تاريخهم الطويل في الرق والعبودية، ورفضوا أن يعلوا عليهم أو يحكمهم من مسه الرق من قبـــل، وعبروا عن ذلك بثورات عديدة واحتجاجات كثيرة منذ اللحظة الأولى لحكـــم المماليـــك، ثورات استمرت طوال العصر المملوكي" البحري والجركسي" ثورات كـــان مـــن شـــأنها التأثير السلبي على حالة البلاد السياسية والإقتصادية على حد سواء.

وما نود أن نسعي إليه من خلال هذه الورقة البحثية أن نلقي الـــضوء علـــى طبيعـــة العلاقة بين " العربان" والسلطة الحاكمة في مصر في عهد المماليك الجراكسة على وجـــه التحديد، وهل خضعت هذه العلاقة لنمط واحد هو الطاعة أم الرفض والاحتجـــاج، ومـــا مظاهر هذا الرفض، وما مظاهر الطاعة إن وجدت مع رصد للنتائج المترتبة على هـــذين النمطين بوجه عام.

* مدرس التاريخ الإسلامي - تربية عين شمس

In The Age Of The Circassian Mamlouk (784-923 AH / 1382-1517 AD)

Eman Mustafa Abdul-Azim

Abstract

The Muslim Arabs conquered Egypt by the feat commander Amr ibn al-Aas by the year 22 AH / 642 CE, arriving all the Arabs (Bedouins of the Arabian Peninsula) to Egypt to live and settle in its territory, but they preserved their peculiarity Bedouin flagrant characteristics through their stability remain, , several years later they begin to merge with the Egyptians and they related by marriage to them and even practiced their first profession "agriculture", but this integration came from a small group of Arabs in Egypt not all Arabs, part of them were stick to their Bedouin traditions in everything through the ages of the Islamic State, in the Mamluk era - especially Jerxa - the relationship has been characterized between Arabs – in the Mamluk period with the ruling authority was a special relation ship which were the rejection and protest in most of the time the Arabs or "Araban" did not forget the long history of Mamluks which was their slavery, and refused to be lower from whom was slaves before, or even to be guided from them and they expressed many revolutions and protests since the first moment to the rule of the Mamluks, eruptions continued throughout the maritime and Jerxa Mamluk periods" those revolutions that would have negative impact on the political and economic state of the country in

The same manner.

What we must seek through this paper is an attempt to shed the light on the nature of the relationship between "Arab" and the ruling power in Egypt during the reign of the "Circassian Mamluk " "المماليك الجراكسة" "specifically, whether the relationship has been the pattern of obedience or rejection and protest, and what is the manifestations of this refusal,

And what is the Manifestations of obedience, if existed , with the monitoring of the results of these two types in general.

المقدمة

تتناول هذه الورقة البحثية موضوعا ذا أهمية كبيرة، وعلى درجة عالية من الخصوصية، حيث تتطرق إلى العلاقة بين الدولة والأفراد، أو فلنقل بين السلطة الحاكمة والمحكومين، وبالتحديد بين دولة المماليك الجراكسة والعربان(عرب الجزيرة العربية) في مصر، والذين كانوا يشكلون فئة هامة من فئات المجتمع المصري في ذلك العصر، فقد اهتم كثير من المؤرخين بدراسة التاريخ السياسي والإقتصادي لمصر بصفة عامة، دون التركيز على دور القبائل العربية في مصر منذ الفتح سنة 20هـ/640م، وطيلة فترات تاريخ مصر الإسلامية، وبخاصة (العصر المملوكي)، فالقاريء لتاريخ المماليك في مصر يجد سمة واضحة لطبيعة العلاقة بين الدولة الحاكمة والمحكومين(وبخاصة العربان)، سمة مميزة لعلاقة (الحكام المماليك) بفئة العربان (المحكومين) في مصر، سمة أساسية واضحة مضمونها ومحورها الأساسي: الرفض والاحتجاج، الرفض منذ اللحظة الأولى لإعلان قيام سلطنة دولة المماليك في قطريها(مصر والشام)[1] ، رفض استند إلى دعائم قوية، وأسباب جوهرية، فلم ينس العرب[2] للحكام الجدد (المماليك) سنوات الرق الطويلة، التي عاشوا فيها عبر سنين الطفولة والشباب والنضج، أثناء عملهم في خدمة سلاطين البيت الأيوبي، وكرهوا أن يكون أرقاء الأمس، حكاما عليهم (اليوم وغدا)، فكان الرفض لهم، ولحكمهم، وحكومتهم، واستمر هذا الرفض طوال العصر المملوكي سمة واضحة جلية، مؤرقة للسلاطين المماليك، ولاستقرار حكمهم وحكومتهم، ومثيرة للقلاقل والإضطرابات، ودافعة لقيام الثورات المضادة لهم ولحكومتهم، في كافة أرجاء السلطنة المملوكية، الأمر الذي واجهه سلاطين المماليك بوسائل عدة، تنوعت بين اللين والشدة، فكان اللين والاستمالة بل والاسترضاء في بعض الأحيان، والبطش والشدة والعنف في أحيان أخرى(كثيرة)، وهذه العلاقة بين الطرفين، (الدولة والمحكومين)، هي الأمر الذي نسعي إلي معالجته من خلال هذه الورقة البحثية، محاولين القاء الضوء على سمة هذه العلاقة بين الطرفين(الحكومة) و(المحكومين)، وبخاصة(العربان) -محور الدراسة-، بحيث نوضح دور القبائل العربية في مصر المملوكية، وأثرها في النواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وذلك من خلال عدة عناصر أساسية هي:

- الفتح الإسلامي ودخول العرب المسلمين إلى مصر.

- وضع القبائل العربية في مصر منذ الفتح الإسلامي وفي عصر الولاة.
- وضع القبائل العربية في عصر الاستقلال الذاتي في مصر(في عصر الدول: الطولونية، الاخشيدية، الفاطمية، الأيوبية) خلال العصر العباسي الثاني.
- العرب في مصر في العصر المملوكي.
- صور الرفض (ثورات العربان) في مصر في العصر المملوكي.
- أسباب ثورات العربان.
- سياسة سلاطين المماليك ورد فعلهم تجاه (ثورات العربان).
- دوافع ثورات العربان.
- مواقيت قيام ثورات العربان.
- النتائج المترتبة على ثورات العربان.

كل هذه العناصر، لهدف واحد هو: توضيح سمات العلاقة بين (الحكومة المملوكية) والعربان، ومظاهر هذه العلاقة، وأشكالها، والنتائج المترتبة على هذه الأشكال المتنوعة بين الطاعة والإعتداء، أوبين الرفض والقبول، سواء على المستوى السياسي أو الإجتماعي أو الإقتصادي.

وبعد تقديم هذه المعالجة، وعرض هذه الأفكار الرئيسية، عمدت إلى عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، بحيث ذيلت بها خاتمة البحث، راجية من الله السداد والتوفيق، وأن يكون هذا البحث لبنة في طريق البحث العلمي، آملة في مزيد من الأبحاث والدراسات التاريخية المتميزة حول العصر المملوكي، وأحواله المتنوعة، سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً وثقافياً.

والله من وراء القصد ،،،،،

القاهرة في ../../2012م.

فتح المسلمون " العرب " ولاية مصر- الرومانية 'حكماً وقتئذ- عام 20هـ/ 640م، على يد القائد العربي الفذ "عمرو بن العاص" في عهد الخليفة الراشدي الثاني"عمر بن الخطاب"، وصارت مصر – منذ هذا التاريخ – ولاية عربية إسلامية، واحدة من بين ولايات الدولة العربية الإسلامية " الناشئة، بل الناهضة في ذلك الوقت".

وقد شكل هذا الفتح العربي الإسلامي على مصر فاتحة خير لهجرات عربية متوالية دامت زمناً طويلاً، كان أضعفها – الهجرات- هجرة العرب أو الجند المسلمين الذين أتوا مع عمرو بن العاص عند فتح البلاد[3]، وكان معظمهم من القبائل اليمنية.

على أن أغلب الولاة الذين حكموا مصر في عصر الولاة (من الفتح وحتى نهاية العصر العباسي الأول) كانوا يصحبون معهم جيوشاً عربية حتى نهاية العهد الأموي، أو فلنقل عربية ومن شعوب أخرى غير العرب كالخراسانين الفرس والأتراك في العصر العباسي، والمعروف أن الجنود كانوا يصحبون معهم أسراتهم.

ولأن الفاتحين العرب كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة لأهل البلاد، فإنهم – في باديء الأمر- لم يختلطوا بهم (بالمصريين القبط)، وإنما اختطوا لأنفسهم مدينة عربية إسلامية في وسط المحيط المصري القبطي[4]، وكانت هذه المدينة هي الفسطاط[5]، كما اختط العرب – فيما بعد- مدينة الجيزة، على غرار خطط الفسطاط، ونزل قوم من العرب مدينة الأسكندرية، على أن الأسكندرية لم يكن فيها خطط، وإنما كانت (أخاند) أي من أخذ منزلاً نزل فيه[6].

وهكذا، كان معظم العرب الذين استقروا في مصر(بعد الفتح وخلال عصر الولاة) من القبائل اليمنية، وأقاموا في الفسطاط أو الجيزة أوالأسكندرية، وبصفة عامة خصصت لهم مرتبات ثابتة من ديوان الجند[7]، وكان لهم بلاد معينة يذهبون إليها في الربيع لرعي دوابهم، كما اتخذوا المنازل والقصور والمساجد والأسواق في الأماكن التي سكنوها[8]، إلا أنهم لم يشتغلوا بالزراعة، فقد حرم عليهم الخليفة عمر بن الخطاب الاشتغال بالزراعة أو إمتلاك الأرض الزراعية، ولم يسمح لهم بغير السياسة والحكم والحرب.[9]

ولذا، لم يختلط العرب بالمصريين في البداية، ولم يكن لهم تأثير يذكر على

القبط (سكان مصر)، سواء أكان هذا التأثير من ناحية انتشار الدين الإسلامي أم اللغة العربية، كما كان اختلاط القبائل العربية بأهل مصر عن طريق التزاوج نادراً أيضا في أول الأمر، وربما كان ذلك بسبب أن العرب كانوا أقلية ضئيلة في مصر في ذلك العهد، غير أنه بمرور الوقت تغير الحال، وزادت أعداد العرب في مصر بصفة عامة، وفي المدن الإسلامية التي أقامها المسلمون العرب، وأيضا في القرى،[10] ولما كثر عددهم وتوالت هجرتهم، واصلوا حياة التجوال والسكنى مع قطعانهم على تخوم الصحراء، واشتغلوا بالرعي على حافتي وادي النيل، ثم اجتذبتهم الحياة في وادي النيل، فأقبلوا عليه واقتربوا منه، واشتغلوا بالزراعة ولقبوا باسم " المزارعين" واختلطوا بأهل مصر.[11]

وكان لهذا الاختلاط أثره في انتشار الإسلام بمصر، نتيجة للتزاوج أو للموالاة بينهم وبين أهالي البلاد، فيذكر المقريزي: في خططه[12]: "ولم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد المائة(الأولى) من تاريخ الهجرة، عندما أنزل عبيد الله بن الحباب مولى سلول قيساً بالحوف الشرقي[13]، فلما كان بالمائة الثانية من سني الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها".

وهكذا، توافد المسلمون العرب "عرب الجزيرة العربية" على مصر ليسكنوها، وفي البداية سكنوا في الوجه البحري، فلما ضاق بسكانه نزل العرب ببلاد الصعيد[14]، وانتشرت القبائل العربية في جميع نواحيه حول أسوان وجنوبها، وفي منفلوط، وأسيوط والأشمونين وأخميم، وفي الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر وخاصة صحراء عيذاب.[15]

وأقام العرب على أرض مصر" حكاماً نعم، ولكن دون تحكم"، أو فلنقل "مالكين" و"حاكمين" غير "متحكمين"، فقد تركوا الأرض لأصحابها من المصريين، يزرعونها، ويحصدون خيراتها، ويتمتعون بثرواتها الوفيرة، بعد فترة طويلة من الرق والعبودية في ظل الإمبراطورية الرومانية الشرقية، المعروفة باسم " الدولة البيزنطية"، وفي وقت قصير أصبح العرب جزءاً من الشعب الذي يعيش في مصر، أو أصبحوا يكونون طبقة هامة من طبقات المجتمع المصري.[16]

وهكذا، توافد العرب " البدو" على مصر توافداً سريعا في حركة منتظمة، مثلها في ذلك، مثل حركة توافدهم على معظم الولايات المفتوحة في المشرق والمغرب،

غير أنهم (العرب البدو) في مصر اتسموا بسمات خاصة حيث عاشوا في نطـــاق محدد، وعزلوا أنفسهم (بداية) عن سكان مصر(عملاً ومصاهرة) واكتفوا بالجهـــاد في سبيل الله وإعلاء كلمته، بل وتأمين المسلمين نفسا وروحا وأرضا.

تلك كانت أوضاع العرب(البدو) في مصر في عهد الخلافة الراشدة، وقد استمرت هذه الأوضاع على هذا الحال في عهد الدولة الأموية[17]، فالدولة العباسية[18]، فقد نعم العرب بحياة هادئة مطمئنة مستقرة إلى حد بعيد، حيـــث مثلـــوا فـــي مـــصر(طبقـــة أرستقراطية) تأخذ أموالها من عطاء الجند، حتى كان العصر العباسي الثـــاني، الـــذي شهد " نمو فكرة الاستقلال الذاتي"، وظهور ما يسمى بـــ " الدول المستقلة"، فظهر في مصر عدد من الدول المستقلة التي كان لها أثر واضح في سياسة مصر، مثل الدولـــة الطولونية(254-292هــ/868-904م)، والأخشيدية(323-358هـــــ/934-968م)، والفاطميـــة(297-567هـــــ/909-1171م)، والأيوبيـــة(569-648هـــــ/1173-1250م)[19] ، فالقاريء لتاريخ مصر في تلك الفترة يلاحظ أن هجرة القبائل العربيـــة إلى مصر، ثم اختلاط العرب بأهل وادي النيل، ثم تحول الحكم في العالم الإسلامي إلى ملك استبدادي يعتمد على الفرس ثم الأتراك(في تلك الفترة بالتحديد)، كل ذلـــك كـــان مؤدياً إلى ضياع هيبة العرب الحاكمين، وإلى اندماجهم في سلك المحكومين، وتغيـــر المركز الذي كان يريده لهم الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب من قبل، فلا ننـــسى أن الفكرة الأساسية الأولى في الحكومة العربية كانت تنطوي على أن تكون الدولة العربية (حربية) تديرها الأرستقراطية العربية، وتقوم بأدائها الشعوب المحكومة من أهل الذمة الذين يحميهم العرب، والذين يقومون في مقابل ذلك بالعمل، وتوفير أســـباب العـــيش والراحة للأرستقراطية العربية.

غير أن هذه الفكرة لم تتحقق طويلاً للأســـباب الـــسابقة، ونظـــراً لأن الـــدين الإسلامي نفسه ذو طابع دولي، وليس دين شعب معين أوأمة معينـــة، فكـــان مـــن السهل بمرور الزمن أن يمتزج المسلمون الجدد بالمسلمين من السلالة العربية، ثـــم جاء قرار الخليفة العباسي المعتصم في بداية القرن الثالث الهجري (وبالتحديد عام 318هــ/930م) باسقاط من في الديوان – ديوان الجنـــد- مـــن العـــرب وقطـــع أعطياتهم[20]، ويظهر أن الاختلاف في ذلك الوقت كان قد عظم بين العرب وبـــين أهل الذمة بالبلاد، بدليل أن قرار المعتصم بصرفهم عن ديوان الجند لم يكن له رد فعل عنيف، إذ قامت بعض حركات احتجاج قضي عليها سريعاً.[21]

وهكذا، نلاحظ أنه مع القرن الثالث الهجري أصبح العرب في مصر لا يتميزون عن أهل البلاد، ولم يكن هناك بعد قرار المعتصم ما يحسد عليه العرب من نسل الفاتحين، اللهم إلا من الناحية اللغوية والدينية[22].

وظلت أوضاع العرب في مصر على هذا النحو، بين قبول ورفض، أوطاعة وعصيان خلال عصور الدول المستقلة في مصر بدءً من الدولة الطولونية[23]، التي شهد عصرها عدداً من ثورات العرب، عرفت باسم ثورات العلويين[24]، التي لم تهدأ طوال العصر الطولوني، بل مثلت تهديداً واضحاً وخطورة كبيرة على حكم الطولونيين، فالحاكم الطولوني بالنسبة إليهم ماهو إلا: "وال تركي مغتصب للحكم من قبل أعدائهم العباسيين"[25].

وأمام هذا العداء السافر، وهذا الرفض، حرصت الدولة الطولونية على اخضاع العرب، فاتخذت في عهدي أحمد بن طولون (مؤسسها)، وابنه(خمارويه)[26] عدة إجراءات من شأنها تجنب ثورات العرب ومهادنتهم، وتطويعهم باستخدامهم في فرق الجيش، لحماية الناس من شرور فسادهم- العرب- الذين عرفوا في هذه الفترة باسم (قطاع الطرق)، حيث عملت الدولة على تجنيد هؤلاء العرب في الجيش، وعهدت إليهم بحراسة الطرقات[27]، فقد رأي أحمد بن طولون ومن بعده، ابنه خمارويه أن العرب هم الأصلح لهذه المهام، لما يتمتعون به من شدة وقوة، ومن ناحية أخرى، تقضي الدولة – بتجنيدهم- على شرورهم وفسادهم ووقاية الناس من أخطارهم.

ومن بعد الدولة الطولونية، جاء الأخشيديون[28]، وفي عهدهم، استمرت ثورات العرب وبخاصة "العلويين"، غير أن الحكام الإخشيد استعملوا سياسة اللين والتقرب للعرب، وبخاصة" العلويين"، وذلك لكبح جماح ثوراتهم، فأخذوا يقربونهم حتى أصبح للعلويين أو"الطالبيين" لأول مرة نقيب (نقيب الأشراف) يعين من قبل الوالي الإخشيدي.

ولذا،،، عاش العرب في جو من الهدوء والسلام خلال العهد الإخشيدي، وجنحوا للسلم والهدوء بعيداً عن العنف وأعمال الفساد، واندمجوا في المجتمع المصري المستقر بعيداً عن الثورات والقلاقل، نتيجة لسياسة الإخشيديين الإيجابية مع القبائل العربية، والتقرب للأشراف العلويين، الذين كانوا يحركون خيوط القبائل العربية، وهكذا نجحت هذه السياسة الإخشيدية في تطبيع القبائل العربية على الهدوء والسلم إلى حد بعيد.[29]

وفي العصر الفاطمي[30]، ومع بدايات حكمه الأولى، وقفت القبائل العربية في مصر إلى جانب الخلافة الفاطمية " الناهضة " وربطتها بهاعلاقات طيبة، حيث وقفت منها موقف المؤيد المساند، ومن هذه القبائل، كانت القبائل القرشية نظراً للعصبية القبلية التي لعبت دوراً هاماً في انضمام قبائل قريش للفاطميين في مصر لإعتبار واحد هو:- " أنهم- الفاطميون- ينتسبون إليهم"[31]، واستعاد العرب بعض نفوذهم في العصر الفاطمي، فقد رأي الفاطميون في القبائل العربية المستقرة بسورية على حدود مصر الشرقية خطر على حكمهم الجديد في شمال وادي النيل، فاتجهوا إلى تشجيع تلك القبائل على الهجرة إلى مصر، فتوالى وفود الهجرات العربية على مصر في العصر الفاطمي، ومن ذلك ما كان في عهد العزيز بالله الفاطمي (365-386هـ/975-996م) وبخاصة من قبائل بني هلال وبني سليم[32]، الذين أثاروا قلقاً كبيراً للفاطميين- فيما بعد-، فكان لاهم لهم إلا الإغارة على القرى، وتهديد طمأنينة أهلها، والزحف عليها، في حين هاجم سكان الجبال منهم الأديرة، وقتلوا الرهبان والراهبات أيضاً، مما حدا بالفاطميين إلى أن يتخلصوا من أكثرهم، عندما انتفض المغرب العربي عليهم -الفاطميين-، في عهد الخليفة المستنصر بالله سنة (440هـ/1048م) فأرسلوا إليه(للمغرب) منهم أعداداً كبيرة، قيل نحو المليون أوأكثر، في عهد المستنصر بالله (427-487هـ/1035-1094م) سنة 1049م، تأديباً للثوار المغاربة من ناحية، وتخفيفاً لوطأة القحط الذي كان منتشراً في ذلك الوقت على المصريين، بتقليل أعداد العرب، وبالفعل هاجر الكثير من القبائل العربية الموجودة بمصر إلى شمال إفريقيا، وانتشروا في طرابلس وتونس، وتصاهر بعضهم مع سكان تلك المناطق[33].

وفي عصر الدولة الأيوبية[34]، التي أسقطت الحكم الفاطمي، قوي شأن العرب في مصر، حتى أن جماعة منهم أمروا بالبوق والقلم، أي أصبحت لهم الكلمة في الجيش والديوان، وكان هناك موظف مختص بشئون العرب وقبائلهم في مصر يسمى " الحمداني"[35]، وهكذا استخدم الأيوبيون العرب أحسن إستخدام، بحيث أدى العرب لهم ولدولتهم خدمات جليلة، وشاركوا في قتال الصليبيين، كما عملوا بالزراعة فترات السلم[36].

وعن ثورات العرب في هذا العصر، تذكر المصادر المعاصرة، أنه حدث في

عام 584هـ/1188م محاولة ضعيفة لإعادة الحكم الفاطمي، حيث دخل القاهرة إثنا عشر رجلاً شاهرين سيوفهم، ورافعين شعار الدولة العلوية (الفاطمية)، صائحين:" يآل علي .. يآل علي"، وتصوروا أن الناس سوف تجتمع حولهم، وكان هدفهم، الثورة ضد صلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية(564-589هـ/1168-1193م) الذي كان مشغولا في ذلك الوقت بقتال الصليبيين في فلسطين، غير أنه لم يتحقق أي هدف من أهدافهم ولا غرض من أغراضهم[37]، فما كانت هذه الثورة إلامحاولة ضعيفة من بقايا الفاطميين الذين لم تردعهم الهزائم المتلاحقة، وكرروا المحاولة من أجل العودة بالحكم الفاطمي إلى الوجود مرة أخرى.

واستمرت الأوضاع في مصر على هذا النحو، حتى كانت اللحظة الحاسمة في تاريخ المصريين والعرب (البدو) في مصر، وأقصد- لحظة تاريخ قيام دولة سلاطين المماليك في مصر والشام، " وريثة الدولة الأيوبية" منذ أن إعتلت عرش السلطنة في مصر(شجرالدر)[38] زوج نجم الدين أيوب(أخر سلاطين وملوك الدولة الأيوبية)، ومن ورائها الأمير المملوكي عز الدين أيبك[39]، فالسلطان قطز[40]، ثم الظاهر بيبرس[41] "المؤسس الحقيقي للدولة

المملوكية"، أو فلنقل "واضع أسس قيام الدولة المملوكية"، غير أنه مع هذا القيام، تبدلت أحوال العرب، و'عرفوا باسم "العربان"، وعن أوضاعهم في العصر المملوكي، يقول المقريزي:"...انقرضت دولتهم في مصر، فأصبحوا يعرفون فيها بالعربان، على الخصوص مثلما كان يقال الأعراب قبل الإسلام بمعنى البدو وغير صحيحي الإيمان".[42]

فمن هم العربان؟ وما هو المقصود بهذا المصطلح؟ وكيف عاش العربان في مصر في العصر المملوكي؟ تساؤلات عدة نجيب عليها من خلال المحاور الرئيسية الآتية......

* العربان في مصر في العصر المملوكي:

لقد تعددت الآراء، وتباينت حول تعريف واضح أو محدد لمصطلح العربان، فهل هم بقايا القبائل العربية التي استوطنت مصر بعد الفتح العربي الإسلامي؟ أم هم البدو الرحل سكان الصحراء في مصر؟ أم هم قطاع الطرق الذين اعتادوا الهجوم، ونهب مؤخرات جيوش المماليك المظفرة العائدة، والبطش بالفلاحين على حد سواء؟؟؟

والإجابة هي :

العربان، أو الأعراب في العصر المملوكي يقصد بهم: هذه الطائفة من السكان التي كانت تقيم كقبائل[43] على أطراف الصحراء في صعيد مصر(الوجه القبلي) الذين عرفوا باسم(عرب الوجه القبلى)، وفي بعض مناطق (الوجه البحري) كالشرقية والبحيرة أو(عرب البحيرة وعرب الشرقية)، وكذلك أيضا في الغربية والقليوبية، فالقبائل العربية -كما سبق وقدمنا- قد أخذت منذ العصر العباسي الأول تندمج بالمصريين بعد أن أسقط الخليفة (المعتصم العباسي)، العرب من الديوان، وقطع أعطياتهم، مما دفعهم إلى الإختلاط بالمصريين، وصاهروهم، واحترفوا الحرف والمهن كالزراعة والصناعة والتجارة، واستقروا - كما ذكرنا - في الصعيد، وبعض مناطق الوجه البحري، وأطلق عليهم " المزارعة" غير أنهم رغم ذلك كانوا يتمتعون بمكانة اجتماعية أعلى من بقية الفلاحين بسبب: المساعدات الحربية التي كانوا يؤدونها للحكومات في وقت الحرب، ولاسيما زمن الحروب الصليبية، في عصر الدولة الأيوبية، ونظراً لأهمية مكانة العربان، فقد وكلتهم الدولة بحفظ الأمن والنظام في القرى والأرياف، كذلك أسهموا بنصيب وافر في الإنتاج الزراعي ودفع الخراج.[44]

ومن العربان كانت طبقة " أمراء العربان"، ونقصد بهم" شيوخ القبائل العربية" التي استقرت في مصر، وأقطعهم سلاطين المماليك الإقطاعات الحربية [45] للإستمالة وكسب الود.

أما عن ثورات العربان في العصر المملوكي الأول، فنستطيع أن نقول:

انتهج العرب نحو "سلاطين المماليك" الحكام الجدد لمصر سلوكاً مغايراً، أقل ما يوصف به أنه سلوك عدائي، فقد كان الرفض أو الاحتجاج هو أول رد فعل، وتعبيرعن مكنونهم تجاه هؤلاء الحكام، رفض صريح وواضح لهم كحكام، وإصرار على إسقاط حكمهم، وهدم دولتهم في مهدها، وإبعادهم عن السلطة والحكم في مصر، فلم ينس العرب للمماليك مس الرق، الذي ظلوا فيه سنين وسنين، فها هو الأمير نجم الدين زعيم الجعافرة بمصر يصف السلطان أيبك " أول سلاطين المماليك" بأنه " مملوك قد مسه الرق"،[46] مما يدل على أن العرب لم يقبلوا، ولم يرضوا بأن يكون أرقاء الأمس، حكاماً عليهم اليوم.

وكانت أولي ثوراتهم (في العصر المملوكي) تعبيراً عن هذا الرفض، ثورة

الشريف حصن الدين بن ثعلب، شيخ قبيلة بني تغلب في الصعيد الذي لخص سبب ثورته ضد حكم المماليك في مقولة شهيرة فحواها: " نحن أصحاب البلاد، بل وأنا أحق بالملك من المماليك، وقد كفى أنا خدمنا بني أيوب، وهم خوارج خرجوا على هذه البلاد"[47].

وهكذا،،، فالعرب،" أصحاب البلاد" و" الأحق بالحكم"، والأيوبيين خوارج، والمماليك عبيد للخوارج لا توجب لهم طاعة، ولذا، ثار الشريف حصن الدين بن تغلب على المماليك، وأعلن قيام دولة عربية مستقلة عن حكم المماليك، في مصر الوسطى، وفي منطقة الشرقية بالوجه البحري، واتخذ من بلدة " ذروة الشريف" أو " ذروة سريام" بالفيوم قاعدة ومركزا لهذه الدولة الجديدة[48]، وليضمن نجاح ثورته، اتصل بالملك الناصر يوسف "صاحب حلب" يطلب منه مساعدته في محاربة السلطان عزالدين أيبك، بل ويستحثه على القدوم إلى مصر، إلا أن الناصر يوسف لم يستجب لهذه الدعوة، لأنه لم يكن يري في نفسه مقدرة على محاربة المماليك في هذ الوقت[49]، وأمام هذا الرفض، جهز الشريف حصن الدين حشوده لقتال المماليك، وبلغ عددها إثنى عشر ألف فارس، واجتمعت بالقرب من بلبيس في عام 651هـ/ 1253م، وتقابلت هذه الحشود مع حملة " عز الدين أيبك" العسكرية، التي بلغ عددها خمسة آلاف فارس، بقيادة " فارس الدين أقطاي"، وعلى الرغم من قلة أعداد حملة المماليك إلا أنهم تغلبوا على حشود العرب، بفضل تفوقهم الحربي، ومهارة قائدهم أقطاي الحربية، وبعد النصر، سارع أيبك باخماد ثورات العرب في أنحاء البلاد، وفرض عليهم المزيد من الضرائب والمكوس، وعاملهم بالعسف والقهر.[50]

غير أن هذه الهزيمة التي ُمني بها العرب، لم تقض على كراهية واحتقار العرب للمماليك، ولم تقتل روح الرفض بداخلهم للمماليك وحكمهم، بل زادتهم إصرارا على ضرورة التخلص من المماليك، وجدد حصن الدين ثورته في عام660هـ/1261م، في عهد الظاهر بيبرس، الذي هزمه وقبض عليه وشنقه بالأسكندرية[51].

وبعد ذلك بفترة، تجددت ثورات العربان ضد المماليك، – ولم يكن السبب مس الرق وأصلهم غير الحر– بل من أجل ما أتخذه سلاطين المماليك من إجراءات تعسفية لإخماد ثوراتهم وتشريدهم والقضاء على زعامتهم الرافضة للحكم

المملوكي، ومن ثم بدأ الصدام بين المماليك والعربان، واستمر في صورة متقطعة حتى نهاية العصر المملوكي، وبالرغم مما قدمه سلاطين المماليك- فيما بعد- للعرب، من مزايا كثيرة، لدفع شرهم وحماية الأمن والطرق من عبثهم، - نقول رغم ذلك- لم ينس العرب الكراهية، ولم يتخلوا قط عن الحقد الدفين فنفثوا عنه في ثوراتهم وإفسادهم وتخريبهم المستمر.

ومن ذلك ما حدث في عام 689هـ/ 1290م، في صعيد مصر، حيث ثار العربان عند قيام المنصور قلاوون في الحكم، غير أن الأمير طرنطاي[52] نائب السلطنة(وقتئذ) أنزل بهم الهزيمة قرب قوص، وعاد ومعه عدد كبير من زعمائهم رهائن، فضلاً عن مائة ألف رأس من الغنم، ومائتي فرس، وألف جمل غنمها منهم.[53]

غير أن هذه الهزيمة التي لحقت بالعربان لم توقف ثوراتهم، فقد انتهز العربان فرصة مرض السلطان قلاوون في نفس العام 689هـ/ 1290م، وقاموا بثورة جديدة في إقليم " قوص"، ولكن الأمير طرنطاي عاد إليهم ليؤدبهم من جديد.[54]

ومن ذلك ما حدث في عام 698هـ/1298م، في قوص ومنفلوط، حيث استغل العربان فرصة انشغال المماليك بالحرب مع غازان خان التتار، وكان السلطان الناصر قاصراً، غير أن الأميرين الكبيرين سلار وبيبرس[55] استطاعا أن يهزما العربان، وأدبوهم على ثورتهم[56].

ومن ذلك ما حدث في عام 701هـ/1301م، في الصعيد، حيث فرض العربان ضريبة على الباعة وأرباب الصناعات والحرف، واحتقروا الحكام وعطلوهم عن جمع الأموال، بل زاد العربان في تحديهم للمماليك بأن جعلوا من أنفسهم رئيسين الاول أسموه بيبرس والثاني أسموه سلار[57]، وجعلوا من تحت هذين الرئيسين أمراء، ولبسوا السلاح على هيئة العساكر، وأطلقوا المساجين، مما دفع الأمراء المماليك للاجتماع وعقد المشورة على محاربتهم، وانتهى الأمر بقتل العربان وتشتيتهم، والقبض على من تبقى منهم، واستولوا على خيلهم وأسلحتهم وأولادهم.[58] وكسرت شوكة العربان، وهدأت ثوراتهم، ولا يعني ذلك أن متاعب العربان قد توقفت بعد سنة 700هـ/1300م، وإنما المقصود أن حركاتهم لم تعد تتخذ شكلاً سياسياً وإنما تخذت طابعاً اقتصادياً، وهو ما تسميه المصادر عادة بإسم (فساد العربان)[59].

ومثال ذلك، ما حدث في عام 754هـ/ 1353م، في عصر السلطان المملوكي " الصالح صلاح الدين"[60] من قيام ثورة زراعية كبرى في صعيد مصر بقيادة شيخ قبيلة عرك " ابن الأحدب"، غير أنها أخمدت سريعاً، ولم تجن ثمارها.[60]

وهكذا، ’عرف العرب في العصر المملوكي الأول (البحري) باسم (العربان) وسميت حركاتهم أو ثوراتهم الرافضة للحكم المملوكي باسم (فساد العربان) فشهد العصر المملوكي من بعد عز الدين أيبك، كثيرا من صور الرفض للحكم المملوكي، ورفض الخضوع لهم، كما سبق وأشرنا، وهذا الرفض من جانب (العربان العصاة) للمماليك وحكمهم وحكومتهم، اتخذ عدة أشكال وصور منها: الثورة [61]، ومنها: أعمال القلاقل والشغب، ومنها: قطع الطريق على المسافرين، فلم يسلم الحجاج في طريق ذهابهم إلى بيت الله الحرام وإيابهم عبر الصحراء الشرقية، لم يسلموا من اعتداء العربان عليهم، ومنها: السرقة بالإكراه، والسلب والنهب، والإضرار بالنظام والإعتداء على الأهالي الآمنين، ونهب إقطاعات الأمراء، والإمتناع عن دفع الخراج، والإغارة على القرى وذبح الفلاحين، والإستيلاء على كل ما تصل إليه أيديهم من غلات وحيوانات، والاغارة على المدن الكبرى كأسيوط والأسكندرية، وأيضا القاهرة، أوعلى أطرافها بغية السلب والنهب.[62]

وهكذا،،، كانت هذه الأشكال والصور الرافضة ما هي إلا مظهراً من مظاهر عدم خضوع (العربان) وثورتهم ضد حكام مصر(المماليك)، وأمام هذه الاعتداءات وتكرارها، رأى الحكام المماليك أن يسيروا على نهج سابقيهم من الدول المستقلة في مصر، وبخاصة (الدولة الطولونية) التي اتخذت في عهد (خمارويه) عدة إجراءات من شأنها حماية الناس من قطاع الطرق(العربان)، حيث عملت على تجنيد هؤلاء العربان في الجيش، وعهدت إليهم بحراسة الطرقات[63]، كما فعل خمارويه من قبل، لتقضي الدولة – بتجنيدهم– على شرهم وفسادهم ووقاية الناس من أخطارهم. وهكذا، عمل أبناء (العربان) كخفراء وحراس على الطرق، نظراً لدرايتهم ومعرفتهم بقطاع الطرق، ومعرفة مخابئهم، وتجنبا لفسادهم وشرورهم.

غير أن هذا السلوك السلمي، لم يكن الوحيد من جانب الدولة الحاكمة (المماليك)، فقد لجأت إلى الشدة والعنف في أحيان أخرى لقمع ثورات العربان وتمردهم، وإخضاعهم للحكم المملوكي، وبالغت في ألوان القمع، والضرب على

أيديهم، فكانت التجريدات العسكرية، وكان التعذيب والتجريس، والقتل شر قتلة، وبذر بذور الفرقة والإنقسام بينهم، والتسمير والشي والرجم بالحجارة.(64)

وبعد،،،،

هل انتقل هذا الرفض العربي من العصر المملوكي الأول (البحري) إلى العصر المملوكي الثاني(الجركسي)، أو بمعنى آخر هل استمر رفض العربان للمماليك خلال العصر المملوكي الثاني؟ وهل عاني المماليك الجراكسة من رفض العربان وثوراتهم أم لا؟ وما هي النتائج التي ترتبت على هذا الرفض؟

كل هذه التساؤلات نجيب عليها في الصفحات القادمة من هذه الدراسة ....

* العربان في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة:

والحديث عن حال العربان في العصر المملوكي " الجركسي"، يقتضي بنا أن نبدأ بالإجابة عن تساؤل هام هو: هل ثار العربان في العصر الجركسي؟ وإن كانت الإجابة نعم، فما هي دوافع هذه الثورات؟ وما هي مواقيت قيامها؟

لقد بلغ العرب بمصر في العصر المملوكي "بوجه عام" عدداً عظيماً، وانتشروا بمختلف أنحاء البلاد بالوجه القبلي والبحري، كما نؤكد على ما سبق وأشرنا إليه، وهو أن طبيعة العلاقة بين المماليك (الحكام) والعربان(المحكومين) تميزت بالرفض، والإحتجاج من أول لحظة لقيام هذه الدولة، ولكي تتضح لنا هذه العلاقة وسماتها، لابد وأن نعرض لطبقات المجتمع المصري في زمن دولة المماليك، وحال هذه الطبقات اقتصادياً واجتماعياً وبخاصة في العصر المملوكي الثاني(الجركسي) محور الدراسة.

- طبقات المجتمع المصري في العصر المملوكي الجركسي:

عاش المماليك في مصر طبقة منفصلة ممتازة عن سائر السكان بالبلاد المصرية، مما ساعد على قيام نظام طبقي، وضحت فيه كل طبقة من طبقات المجتمع وضوحاً أملاه مركزها ونوع النشاط الذي تقوم به.

ويؤكد ذلك المؤرخون المعاصرون، فها هو المقريزي يقسم مصر في عصره إلى سبعة أقسام هم: أهل الدولة من المماليك، وأهل اليسار من التجار، ومتوسطو الحال من الباعة والسوقة، وأهل الفلح، والفقهاء ويقصد بهم طلاب العلم، وأرباب الصنائع والمهن، وذوو الحاجة والمسكنة، وعلى الرغم من شمول هذا التقسيم إلا أنه أغفل ذكر أرباب الوظائف الديوانية، كما أغفل الأعراب، رغم ما لهم من أهمية

كبرى في عصر المماليك، وربما أدمج الأعراب في أهل الفلح، كما أدمج أرباب الوظائف الديوانية في مختلف الطبقات التي عاشوا فيها(65).

ويقسم بيلوتي الكريتي،- الذي عاش في مصر أواخر القرن الرابع عشر الميلادي- أي أنه كان معاصراً للمقريزي، يقسم هو المجتمع إلى ثلاث طوائف رئيسية كبرى هي : الشعب المصري بمختلف فئاته الخاضعة لحكومة السلطان السياسية ولنفوذ الخليفة الديني، وطائفة المماليك وهي طائفة عسكرية، ثم طائفة البدو أو الأعراب الذين على حد تعبيره :" لا يتركون فرصة دون أن يخلقوا للحكومة والأهالي متاعب متنوعة"(66).

ويرى ابن خلدون في طبقات مصر في المجتمع المملوكي تقسيماً آخر، حيث يرى أن ملك مصر ماهو إلا " سلطان ورعية"، مما يعني أن هناك طبقة حاكمة مسيطرة تمثل السادة من المماليك، وطبقة أخرى من المحكومين الكادحين والمغلوبين على أمرهم والذين يمثلون فئات أهل مصر جميعا(67).

ويتفق "ستانلي لين بول" مع ابن خلدون في رأيه، حيث يقسم مصر في عصر المماليك إلى طبقتين كبيرتين متمايزتين تفصل بينهما حواجز كبيرة، والطبقة الأولى هي المماليك، وهم في نظره " أقلية عسكرية ممتازة " أما الثانية فهي " بقية الشعب الخاضعة والمحرومة من كل نفوذ في شئون الحكم" سوى بعض الوظائف ذات الصبغة الدينية(68).

وهكذا،،، ومن خلال كتابات المؤرخين المعاصرين، يتضح لنا أن المجتمع المصري في العصر المملوكي الجركسي، شهد تمايزاً واضحاً في طبقاته الإجتماعية، حيث انقسم إلى طبقتين متمايزتين رئيسيتين هما: الحكام والمحكومين، فكان لطبقة الحكام كل الحقوق، وكافة الإمتيازات، في حين عانت معظم فئات طبقة المحكومين من الفقر وسوء الأحوال الاقتصادية، وسوف نعرض لهاتين الطبقتين ومكوناتهما فيما يلي:

الأولى : الحكام : وتشمل :

- المماليك وهم :(السلاطين، الأمراء، الجند).
- رجال الدين المسلمين وأرباب الأقلام من :
(الكتاب والقضاة والخطباء والوعاظ والمفتين والمعلمين).
- أهل الذمة من: (يهود ونصارى).

الثانية : المحكومون : وهم سائر بقية الشعب من :

التجار، العمال وذوي الصناعات والحرف، الفلاحـين، الأقليـات الأجنبيـة، والعربان[69]، العامة وهم: (الحرافيش و الزعر والعوام أوالمشاعلية).

وهكذا،،، يتضح لنا أن العربان في العصر المملوكي، شكلوا فئة رئيسية مـن طيقة المحكومين في مصر في العصر المملوكي، فئة كان لها وجودهـا، وأثرهـا على الحياة السياسية في المجتمع، وسمتها الواضحة الـرفض والاحتجـاج، بـل والتمرد والعصيان في أحيان أخرى كثيرة، فكان الرفض بـالثورة- كمـا سـبق وأشرنا- بل لم يكتف الثائر بإعلان الرفض، والعصيان، بل خاض في رفضه إلى حد تكوين دولة، والتعبير عنها، فحركة الشريف حصن الدين خير دليل على ذلك، ولما فشلت الثورة، واشتدت الدولة في التصدي لها، وبالغت في رد فعلها، كانـت أعمال القلق والاضطرابات والفساد بأحوال الناس، وقطع الطريق على المسافرين، وإفساد أحوال الناس سبيلا أخر للتعبير عن الرفض.

وما نود التركيز عليه في دراستنا هـذه، هـو صـور الاعتـداء(وبخاصـة الثورات)، في العصر المملوكي الجركسي، هذه الثورات التي يمكن وصفها بأنهـا كانت "مزمنة وعنيفة" واستمرت قائمة طوال العصر الجركسي، فالعرب في هـذا العصر تربصوا الدوائر بالمماليك، وفي مطلع دولتهم الثانية(البرجية أوالجركسية) اشتركوا في المؤامرة التي كان الخليفة "المتوكل نواتها، وهدفها القضاء على سلطنة برقوق، وسوف نعرض لأخبار الثورات وأحـداث العـصيان (مـن المـصادر المعاصرة) وفقاً لترتيب سنوات حدوثها، على النحو التالي :

في شعبان من عام 785هـ/1383 م :

خرج جمع من العربان بقيادة " سلام بن التركية" لنهب الفيوم، وانـضم إلـيهم متولي " قليوب"، فخرجت له تجريدة عسكرية للقبض عليه وسجنه، في20 جمادى الآخرة من نفس العام، إلا أنه استطاع الفرار إلى الصعيد الأعلى.[70]

في جمادى الأولى من عام 787هـ/1385م :

هجم أولاد الكنوز[71]على أسوان، وقتلوا معظم من بها، ونهبوا المسلمين، مما دفع والي البلد للهروب، فخرج إليهم كاشف الوجه القبلي متوجهاً إلـيهم بتجريـدة عسكرية.[72]

أما فيما يتعلق بعام789هـ/ 1387م:

ففيه،، كثر فساد واحد من أشهر مشايخ العربان، في البحيرة، وهو بدر بن سلام، وزاد تطلعه، فتحايل السلطان للقبض عليه، فوثب عليه بعض أتباعه وقتلوه، وحملت رأسه لكاشف الوجه البحري، الذي جهزها وأرسلها للأبواب الشريفة السلطانية.[73]

أما بالنسبة لعام 790هـ/ 1388م:

ففي المحرم،، كان فساد أمير عربان الفيوم المدعو "علي بن نجم"، وقتل كلاً من محمد وعمر ابني شادي(من مشايخ العرب)، فأمر السلطان بالقبض عليه، وتسميره ومعه عشرون رجلاً من رجاله.[74]

وفي عام 795هـ/ 1392م :

شهدت مصر حدثين من أحداث العصيان والتمرد:

أولهما : ثورة من عربان بني عيسى بـ" قليوب" على الوالي الحاكم، **وثانيهما:** خروج تجريدة عسكرية كبيرة للصعيد، عادت بما يقرب من خمسمائة رجل أسير.[75]

أما عام 798هـ/ 1395م: (وهو من أكثر السنوات أحداثاً للتمرد والعصيان)، حيث:

في صفر،،(السابع عشر منه):

تم القبض على "علي بن غريب"، أمير هوارة "لفساده وعصيانه" ومعه ثلاثة وثلاثون رجلاً من أهله وأولاده، وسجن هو في برج قلعة الجبل، وجماعته سجنوا في خزانة شمائل.[76]

وفي جمادى الآخرة،،(عاشره):

قام عرب الأحامدة بقتل قطلوبغا الطشتمري[77] "الوالي"، واستقر السلطان بوالي منفلوط "الركن عمر بن الياس" عوضاً عنه مضافاً لمنفلوط.[78]

وفي رجب،، اجتمع عرب الأحامدة، مع عربان الصعيد مع هوارة وابن غريب، وساروا إلي أسوان، واتفقوا مع أولاد الكنوز، فكتب السلطان "برقوق" لكاشف الوجه القبلي، بالتوجه لمحاربتهم، إلا أنه لم ينل منهم غرضاً، ولا ظفر منهم بطائل ولا نائل.[79]

وفي عام 804هـ/1401م:

ثار عرب بني عمر، وقتلوا كاشف الوجه القبلي، ومعه مائتين نفس، ونهبوا جميع ما كان معهم من الأثقال والأحمال.(80)

أما في عام 816هـ/1413م:

في ذي الحجة،، وقعت واقعة كبيرة بين الأمير فخر الدين ببلاد الصعيد، وسافر السلطان (المؤيد شيخ) بنفسه للبحيرة، لحل الأزمة.(81)

وفيما يتعلق بعام 818هـ/ 1415م:

شهد هذا العام،، حدثين من أحداث العصيان والتمرد: الأول: ثورة من عرب الصعيد على والي قوص، حيث عبث الثوار بالوجه القبلي، والبحري معاً، والثاني: تعرضت البحيرة لإعتداء من عربان لبيد(من أهل برقة) وقتل عدد من شيوخ ومشايخ البحيرة.(82)

وفي عام 819هـ/1416م:

في شوال،، فتنة كبيرة بين أهل البحيرة، ومقتل موسى ورحاب وحسين ابن شرف وغيرهم من مشايخ العربان، فتوجه الإستادار(83) لمحاربتهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وعاد في ذي القعدة بشيء كثير من البقر والغنم.(84)

وبالنسبة لعام820هـ/ 1417م:

فيه،، كثر وذاع فساد العربان ببلاد الجيزة، ووقع ظلم كبير ببلاد الصعيد، مما تسبب في خروج التجريدات العسكرية إلى الجهتين.(85)

أما عام 821هـ/1418م:

فيه،، كانت ثورة كبيرة على الحاكم، والي المحلة.(86)

وفي عام 822هـ/1419م:

في صفر،، بأمر من السلطان، سافر الطنبغا المرقبي إلى الصعيد، ومعه "رقم" أمير هوارة، ليحارب العربان العاصية، فدارت حرب عظيمة انهزم العربان وانسحبوا إلي الميمون- بمركز الواسطى- وغنم الطنبغا المرقبي من أغنامهم ودوابهم الشيء الكثير.(87)

أما في عام 825هـ/1421م:

كثر فساد العربان ببلاد الصعيد، وكثرعصيانهم وتمردهم، فخرجت إليهم التجريدات، وتحقق لها النصر على العربان العاصيين.[88]

وفيما يتعلق بعام 828هـ/1424م :

فيه،، كان فساد عظيم بالصعيد، وخروج أحد كبار الأمراء المقدمين وهو ازدمر شايه، لردع المفسدين وازاحة الفساد من الظالمين[89].

وفي عام 832هـ/1428م :

في صفر،،(الثاني عشر منه): خرجت تجريدة عسكرية لأخذ خيول عربان كل من البحيرة والغربية.[90]

وبالنسبة لعام 837هـ/1433م:

فيه،، وقعت وقعة كبيرة بين كاشف الوجه البحري " أقبغا الجمالي" وبين عربان البحيرة، كان من نتائجها مقتل الكاشف، وألفين من العصاة وبهدلة كبيرة.[91]

أما في عام 838هـ/ 1434م:

هاج عربان الصعيد واقتتلوا مع كاشفها "محمد الصغير"، وهزموه، فعزله السلطان وعين مكانه الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ.[92]

وفي جمادى الأولي،،(الثالث والعشرين منه):

اعترض عربان البحيرة طريق جماعة من "عرب لبيد" أتت بهدية للسلطان، فجهز لهم السلطان تجريدة خرجت في وقت الشتاء، وحاولت عرب لبيد مصالحة أهل البحيرة وساروا لرعي الأراضي البور بعد وصول مرسوم سلطاني يمكنهم من الرعي، فما رضي أهل البحيرة، فخرجت لهم التجريدة العسكرية.[93]

وفي شعبان،، (سادسه) :

عاد الأمراء والعسكر المجرد من الوجه القبلي، وأعيد الكاشف محمد الصغير لكشوفية الوجه القبلي.[94]

وفي ذي الحجة(السابع عشر منه): ثار العربان بطريق غزة على مبشري الحاج وأخذوا جميع ما معهم وقتلوا منهم الكثير.[95]

وفي عام 840هـ/1436م:

في ربيع الأول،، ضم أولاد رحاب مشايخ الاخماس بالبحيرة، طائفة من أهل الفساد يقال لها "محارب" وحصل منهم فساد كبير، فتوجه لهم الأمير قرقماس بالوجه البحري في جمع كبير.[96]

أما في عام 841هـ/1437م:

في رمضان ،، خرجت تجريدة للبحيرة، وتسببت في إتلاف الزرع هناك، وعادت دون طائل.[97]

وفي عام 842 هـ/1438م: (وهو من أكثر السنوات أحداث) حيث:

في شعبان،،(التاسع عشر منه):

خرجت تجريدة للصعيد، بسبب ثورة عربان هوارة في أبو تيج[98]، وسافر العسكر السلطاني المجرد إليهم، وظل فترة طويلة هناك، وأمام صمود العربان، تحرج موقف العسكر السلطاني، مما دفعهم لطلب المدد.

في رمضان،، كان خروج الأمير يشبك[99]، ومعه خمسمائة مملوك من مماليك السلطان لنجدة العسكر المجرد هناك.

وفي شوال،، كانت عودة الأمراء المنجدين بـ أربعة عشر رأساً من العربان، علقت جميعها على باب النصر، وقتل مائة وستون رجل منهم، ومائة فرس، وخربت البلاد بالصعيد.

وفي جمادى الآخرة(الثامن عشر منه): خرج العسكر في خمسمائة مملوك من مماليك السلطان لقتال العربان الذين شوشوا على بلاد الصعيد.[100]

أما في عام 844هـ/1440م:

خرجت تجريدة إلى البهنسا[101]، بسبب فساد العربان هناك.[102]

وفي شهر رجب،، (أواخره):

ثار عربان علي بن غريب، (أمير هوارة)، وتمردوا بالصعيد، وتوجه بعض الأمراء العشراوات للصعيد، ومعهم مائتين مملوك لقتال العربان.[103]

وفي عام 848هـ/1444م:

في ربيع الآخر،،(ثالثه): كان فساد العربان من أولاد الكنوز، وأمر السلطان جقمق بالسفر إليهم، الأمير شاد بك طوخ "الشهير بغليظ الرقبة". وظل هناك ثلاثة شهور.

في ذي الحجة،، كان خروج التجريدة العسكرية من القاهرة إلى "البحيرة" مع ست أمراء وجماعة من المماليك.

وفي المحرم من عام 849هـ/1445م، كانت عودة الأمير الوزير من الصعيد (بعد مضي ثلاث شهور) بمغانم كثيرة من الأغنام والأبقار والخيول.(104)

وفي عام 852هـ / 1448م :

في صفر،،(رابعه):

كان خروج الأمير تمرباي(105) رأس نوبة النوب(106) إلى بلاد الصعيد، وصحبته الأمير إسماعيل بن عمر الهواري، ومائتان مملوك من المماليك السلطانية لقتال العرب الخارجين عن الطاعة من هوارة.

وفي ربيع الأول،،،

أبلغ الأمير تمرباي أن العرب بالوجه القبلي دخلوا في طاعة السلطان، أما العربان العاصية ومن تابعهم فقد فروا ونزحوا عن البلاد.

ورد عليه السلطان: " بأن يقيم هو ومن معه إلى أن يرد عليه المرسوم الشريف بالحضور".(107)

أما في عام 853هـ/ 1449م:

في ربيع الأول،،(ثانيه): خرجت تجريدة إلى البحيرة، ومقدمها الأمير جرباش المحمدي(108)،

أحد مقدمي الألوف(109) وصحبته خمس أمراء مقدمين آخرين.(110)

وفي جمادى الأولى،،(الثالث والعشرين منه): خرجت تجريدة للبحيرة ومعها(أربعمائة مملوك) وعدة أمراء ومقدم أمير كبير[111] إينال العلائي[112].

وفي شعبان،،

(ثالثه): كان وصول الأمير خير بك المؤيدي[113] بمن معه من بلاد الصعيد.[114]

(سابعه): حضر كاشف الشرقية وصحبته العرب الممسوكين وعدتهم ثمانين رجلاً 'مسمرين

على الجمال، ورسم السلطان جقمق بحبسهم.[115]

وفي ذي الحجة،، كان توسيط [116] ثلاث مشايخ عربان من البحيرة وهم: إسماعيل بن زايد، رحاب، سفر، بعد فترة في سجن قلعة الجبل.[117]

وفي عام 854هـ/ 1450م :

في رجب: حضر تغري بردي القلاوي – كاشف البهنسا – بجماعة من مفسدي العرب فقوصوا على فعلتهم.[118]

أما في عام 856هـ/1452م :

في جمادى الأولى،،(السادس عشر منه) : كان خروج تجريدة للبحيرة فيها مائتين مملوك، وعليهم الأمير خشقدم، وظلوا هناك حتى شهر رمضان. [119]

وفي عام 857هـ/ 1453م :

في جمادى الآخرة،، (الثاني عشر منه):

كان تعيين تجريدة للبحيرة في نحو ثلاثمائة مملوك، وعليهم أمير مجلس[120] المدعو طوخ من تمراز الناصري.[121]

وفي رجب،،(السابع والعشرين منه):

نزل عرب لبيد بالقرب من تروجة، فحسن جماعة من عــرب الطاعــة إلــى كاشف البحيرة قشتم المحمودي أن يتوجه إليهم ويردعهم، وكانوا نحو ألف رجــل من العربان، فتوجه إليهم وقاتلهم بمن معه البلاصية لاغير وعربان الطاعة فانكسر وقتل هو وجماعة من العربان، ولم ينج منهم إلا القليل. [122]

وفي شعبان،،(في أوله):

كان تعيين تجريدة للبحيرة لنجدة الأمير طوخ هنــاك، بــخمــسمائة مملــوك، وعودتهم في السابع والعشرين من نفس الشهر.[123]

في شوال،،(الثاني عشرمنه): انهزمت مماليك الإستادار المتوجهة إلى جهة قبلي لقتال عرب الخارجة عن الطاعة، حيث قتل ست رجال. [124]

وفي عام 858هـ/ 1454م :

في جمادى الآخرة،، كان خروج تجريدة للبحيرة بسبب نزول عرب لبيد، في نحو 600 مملوك، ومقدمهم من الألوف[125]، وعدة أمراء طبلخانات[126].

وفي شعبان،، (العشرين منه): خرج الأمير جــانم يقاتــل عــرب لبيــد، وأنتصرعليهم.[127]

وفي رمضان،، كان قــدوم الأخبار برحيل عرب لبيد عن البحيرة.[128]

أما في عام 861هـ/ 1456م:

في رجب،،(تاسعه): (وقعت حادثة غريبة):

جاء جماعة من العربان(قطاع الطريق) في نحو خمسة عشر رجلا، جــاءوا من جهة الشرقية حتى وصلوا إلى قرب باب الوزير، ثم عادوا من حيث جــاءوا، وصاروا في عودهم يسلبون من وقعوا به من الناس، ففر جماعة كبيرة مــن بــين فقهاء وأعيان وغيرهم.[129]

وفي عام 865هـ/ 1460م:

في جمادى الاخرة ،،(الخامس عشر منه):

نزل عرب لبيد العصاة للبحيرة، ونهبوا الأموال، وشنوا الغارات، فعين السلطان أحمد بن إينال لهم تجريدة عسكرية، لم تخرج للأسف لضعف السلطان.(130)

وفيما يتعلق بعام 866هـ/ 1461م :

في رجب،،(سابعه):

خرجت تجريدة للصعيد بما يقرب من أربعمائة رجل، ومقدم العسكر وعشرين أمير.(131)

وفي شوال،،(تاسعه):

خرجت تجريدة للبحيرة، وعليها ثلاث أمراء ألوف(132) بسبب هجوم من عرب لبيد.(133)

وفي ذي القعدة،، كانت واقعة مع العربان، وقتل فيها عدد كبير من عسكر السلطان.(134)

وبالنسبة لعام 867هـ/ 1462م :

في جمادى الآخرة،،(في الثالث عشر منه):

كان خروج تجريدة للبحيرة عليها الأمير حاجب الحجاب(135)، ومعها أربعمائة مملوك.(136)

وفي رجب،،(الثاني والعشرين منه):

كان خروج تجريدة أخرى للبحيرة نجدة للأمير قرقماس لأمر وقع له مع العرب، وقتل فيه جماعة من المماليك السلطانية(137).

وفي شعبان،،(سابعه):

كان وصول الأمير حاجب الحجاب، ومن معه من البحيرة.[138]

أما في عام 872هـ/ 1467م :

في ربيع الأول،،(ثالثه):

رسم السلطان قايتباي بخروج تجريدة للصعيد.[139]

وفي ذي القعدة،،،

خرج عربان البحيرة عن طاعة السلطان، وتعيين تجريدة لهم، وأخرى للشرقية والوجه القبلي.[140]

أما في عام 873هـ/1468م :

ففيه،،،،

كان غاية الفساد من عربان الوجه القبلي، لما نهبه الأمير يشبك الـدوادار[141] وأسر النساء وأولاد العربان، نحو أربعمائة سيدة، فثار العربان ونهبوا البلاد وسلبوا المسافرين.[142]

وفي عام 874هـ/1469م:

في شعبان،،،،

كانت ثورة في الصعيد، لم تهدأ إلا بعد سبع شهور، بسبب أفعال الأمير يشبك الدوادار[143]

والمظالم العديدة التي فعلها من الشوي بالنار، والخوزقة[144]، وسلخ الجلد[145]، والدفن أحياء.[146]

وفي عام 876هـ/1471م:

ثار عربان الشرقية، وأظهروا العصيان، وأفسدوا في البلاد، فتوجه إليهم الأمير يشبك من جديد.[147]

وفي ذي القعدة،، كانت :

- فتنة كبيرة بين بني جرم[148] وبني وائل[149]، فكثر الفساد من عربان الشرقية، وامتنع مرور الناس من اسفر إلي الشرقية من كثرة القتلى، وقطع الطريق، وسلب أثواب المسافرين.
- هجوم من عربان الشرقية على القاهرة ونهب الدكاكين.[150]

وفي عام877هـ/1472م:

في صفر،، كان فساد عربان البحيرة، وتوجه الأمير أزبك [151] لهم، وبعد غياب عدة أيام، عاد ومعه عربان المفسدين وهم في الحديد، وسجنوا بسجن المقشرة[152].[153]

أما في عام 879هـ/1474م:

فيه،، هجمت طائفة من عربان المفسدين، نحو عشرين خيالاً، على جماعة من الناس في طريق المنية وسلبوهم أثوابهم.[154]

وفي شوال،، من نفس العام:

كان فساد عربان الشرقية، وخروج تجريدة لهم، بقيادة الأمير يشبك الدوادار، واضطراب الأحوال هناك.[155]

وفي ذي القعدة،،

هجم عرب عزالة على ضواحي الجيزة، وعينت لهم تجريدة إلا أنها لم تظفر بأحد من العربان المفسدين.[156]

وفي عام 881هـ/1476م:

في جمادى الأولى،، كان فساد في الصعيد، من أولاد ابن عمر، وخروج يشبك الدوادار بتجريدة لهم، وعودته دون أن يظفر بشيء منهم.[157]

وفي عام 882هـ/1477م:

في ذي القعدة،، ثار عرب هوارة على كاشف الوجه القبلي، وكسروه، وندب يشبك للتوجه إلى هناك.[158]

وفي ذي الحجة،، كان خروج التجريدة لبلاد الصعيد، بسبب الفتنة هناك.[159]

أما عام 883هـ/1478م:

في ربيع الآخر،، كان القبض على الأمير يونس بن عمر الهواري، شيخ العربان، وحز رأسه. **وفي جمادى الأولى،،** كان وصول يشبك والأسرى في يده، وعلقوا على باب زويلة.(160)

وفي عام 885هـ/1480م:

في رجب، كان إعتداء جماعة من العربان على كاشف الوجه القبلي، وقتله بخنجر في بطنه.(161)

أما في عام 890هـ/1485م:

في شوال،، قام عربان فزازة بحركةعصيان وتمرد بزعامة أحد مشايخهم، محمد ابن عامر، فقتل وطيف برأسه، ومعه عدة رءووس من العرب المفسدين.(162)

وفي عام 891هـ/ 1486م:

في المحرم،، كان فساد عربان الصعيد، بني عمر، وخروج تجريدة أقبردي(163) لهم، ويضيق عليه الوضع فيطلب المدد، من كاشف البحيرة بعربان من عنده للمساعدة.(164)

وفي شوال،،، فساد بالبحيرة بسبب فساد شيخ عربان البحيرة محمد الجويلي، وقتال شديد، فقتل كثير من العربان غير انهم عادوا ولم يحصلوا منه على شيء. (165)

أما في عام 892هـ/1486م:

فيه،، كان فساد كثير من عربان الأحامدة بالوجه القبلي، فتوجهت التجريدة لهم، وأسرت النساء وبيعوا كالرقيق، ودفن بعضهم أحياء.

وفي رمضان،، كانت عودة أقبردي بعد نصر كبير. (166)

وفي عام 893هـ/1487م:

في رجب،،

قال العربان:" إن مصر ما بقي بها من الجند الا قليلا، وزاد طمعهم في الترك"، فأمر السلطان بركوب الجند، وشق القاهرة ليتفرج عليهم الناس.(167)

أما في عام 898هـ/1492م:

فيه،، كان اعتراض مبشر الحاج. (168)

وفي عام 902هـ/1496م:

فيه،، كانت فتنة كبيرة بين عرب جرام ووائل، وخروج تجريدة لهم وبين بني وائل وعرب غزالة ، وأحداث دامية مؤثرة.(169)

وفي عام 903هـ/1497م:

وفيه،، كان فساد عربان الشرقية، وخروج خال السلطان محمد بن قايتباي لهم بنفسه.(170)

وفي عام 904هـ/1498م:

في صفر،، كانت ثورة عارمة من الجويلي ومرعي، مشايخ عربان البحيرة، وامتنعوا عن دفع الخراج، فأمر السلطان محمد بن قايتباي بتعيين تجريدة لهم.(171)

في شوال،، قام عرب عزالة بهجوم على الكاشف، فحاربهم، وخرجت تجريدة لهم، و'هزم أمام العربان.(172)

أما في عام 905هـ/1499م:

في ربيع الآخر،، حدث تمرد بالشرقية، وإفساد كبير، والقبض على سليمان بن قرطام من كبار المفسدين هناك، وشنكل وعلق على باب زويلة، وخرج طومان بنفسه للشرقية والغربية، وسرح هناك عشرين يوماً، وعاد بالخيول والأغنام.(173)

وفي عام 907هـ/1501م:

في صفر،، قتل كاشف الشرقية، على يد العربان، وتمرد العربان على الكاشف الجديد، وعاد من غير طائل.(174)

أما في عام 908هـ/1502م:

في ذي القعدة،، تزايد فساد عربان الشرقية والغربية والصعيد أيضا، حتى كاد العربان تملك البلاد من المقطعين الأمراء، وخروج التجريدة لهم، وكسرة الأمير في الشرقية وقطعت الرءوس ونشرت الأعضاء وسلخ البعض نحو ألفين قتيل، وهدا الحال قليلا.(175)

وفي عام 910هـ/1504م:

في رجب،، فساد الشرقية، وحدوث الإضطرابات هناك. (176)

أما في عام 911هـ/1505م:

وفي ذي الحجة،، كانت معركة مهولة بالشرقية بين شيخ العرب ونجم شيخ العايد.(177)

وفي عام 912هـ/1506م:

في ربيع الأول،، كان عصيان عرب الشرقية، وقاموا بأعمال تخريب كثيرة.

وفي شوال،، قام العربان بقطع الطريق على القفل" موكب الحج" العائد من المحلة، ونهب كل ما فيه. (178)

وفي عام 913هـ/1507م:

في صفر،، كان هجوم من عربان الشرقية ونهب الضياع، وتجريدة من خمسمائة مملوك، وعودة من غير طائل في ربيع الأول.(179)

أما في عام 914هـ/1508م:

فيه،، كان عصيان شيخ العرب عبد الدايم، بالشرقية، والقبض عليه بحيلة، ورسم بتقييده، وإيداعه في البرج. (180)

وفي عام 916هـ/1510م:

في المحرم،(السابع والعشرين منه): كانت فتنة بين بني عدي وكلب ببلاد الصعيد وتسببت في خراب البلاد، وقت ضم المغل، وعودة طومان باي في جمادى الآخرة بعد عدة شهور.[181]

وفي عام 917هـ/1511م:

في صفر،،(الثالث عشر منه): كان القبض على شرار العربان المفسدين، بالشرقية، أحمد بن شكر، وسلخ جلده، كان يشوش على المسافرين.[182]

أما في عام 918هـ/1512م:

في المحرم،،(العشرين منه): في البحيرة كان عصيان العربان نتيجة تحالف سبع طوائف من العربان.[183]

وفي(التاسع والعشرين منه)، قام عرب عزالة بحركة عصيان ونهب للمغل، وطرد كاشف المنوفية، وتعيين تجريدة من كبار الأمراء، وأقام العسكر إلى بعد وفاء النيل.[184]

وفي ذي الحجة،،،

(ثالثه): شنق شيخ العرب بالقليوبية، "ابن حماده".[185]

وفي عام 919هـ/1513م:

فيه،، كان فساد عربان الغربية وتعيين تجريدة لهم.

وفي صفر،،(رابعه) : كانت ثورة لمقتل ولد من أولاد شيخ العرب وسلخه، وقطعوا جسر الحلفايه.

وبصفة عامة،، كان عاماً شديداً، لإضطراب أحوال البلاد(الشرقية والغربية) لفساد العربان لموت الجويلي شيخهم، وجور الكشاف، ومشايخ العربان. [186]

وفي عام 920هـ/ 1514م:في المحرم، كان فساد في البحيرة. [187]

وفي ربيع الأول،، نزل عرب عزاله بالقرب من البدرشين، وخرج لهم طومان باي، وقبض على مشايخهم، وشك ثمانية منهم في الحديد، فرد عرب عزالة بنهب إقليم الجيزة عن آخره.[188]

وبعد هذا العرض لثورات العربان وتحركات العصيان لديهم ،،، فما هي الدوافع التي وقفت وراء هذه الثورات في العصر المملوكي؟

من خلال الكتابات المعاصرة يتضح لنا أن دوافع ثورات العربان في العصر المملوكي بصفة عامة، تكمن فيما يلي:-

- أسباب ثورات العربان:

القاري لتاريخ المماليك السياسي عبر عصريهما(الأول والثاني)، يلاحظ تعدد أسباب ثورات العربان ضد المماليك، فقد بدأت بدوافع سياسية، وتحولت إلى أسباب اقتصادية، واجتماعية أيضا، وسوف نعرض لهذه الأسباب فيما يلي:

الدافع العنصري :

فالكراهة العنصرية[189] من جانب العرب للمماليك الذين "مسهم الرق"، هذه الكراهة التي ترجع إلى عهد الأيوبيين، وربما إلى أقدم من ذلك بكثير، للعصر العباسي الذي فيه طرد العرب من ديوان الجيش، وأحل محلهم الترك، وحازوا على كثير من امتيازات العرب، لذا كرههم العرب، هم ومن شابههم، من التاليين لهم في الحكم، فالعرب يعتقدون في أنهم أرفع من هؤلاء الموالي جميعا، وأنهم الأولى بالحكم والولاية.

الدافع السياسي:

في بداية حكم المماليك كان الدافع لثورات العرب سياسي بهدف إلغاء الحكم المملوكي[190]، والتخلص منه، وإعادة السلطة إلى العرب الأحرار أصحاب السيادة القديمة على البلاد منذ الفتح العربي الإسلامي لمصر، فعلى الرغم من بطولات المماليك في المنصورة وفارسكور ضد الصليبيين، ونجاحهم في حماية البلاد من أخطار الغزو الصليبي، فإن ذلك لم يشفع لهم أو يغير من نظرة الرعية لهم باعتبارهم عبيداً لا يحق لهم الجلوس على عرش سلطنة البلاد، فأساس الملك في نظر العرب أن يكون الإمام الحاكم (حراً)، وكان الدافع وراء هذا السبب السياسي،

هو نظرة العرب للمماليك على أنهم غرباء عن البلاد، وأن العرب أحق منهم بحكم مصر، فما كان حكم المماليك إلا "سيطرة عسكرية أجنبية".

الدافع الاقتصادي:

فكان لتدهور الحالة الاقتصادية (191) التي عمت البلاد المصرية في عصر المماليك الجراكسة، وسياسة الاحتكار التي سار عليها سلاطين المماليك الجراكسة، وغلاء الأسعار، وتعسف أمراء المماليك في تحديد أثمان الحاصلات الزراعية، واحتكارهم لبعض أصناف منها، كل ذلك أضر كثيراً بأفراد طبقات المجتمع المصري وغيرهم من سكان مصر، وبخاصة " العربان"، كما كانت الأساليب البشعة التي اتبعها الكشاف والأمراء المماليك المكلفون بجمع الخراج، سبباً في قيام العربان بثورات مضادة لحكم المماليك.

والسؤال الآن:

متى قام العربان بثوراتهم؟ وهل اختار العربان أوقاتاً خاصة للثورة ؟

وعن توقيت قيام الثورات، نذكر أن العربان كانت لهم أوقات خاصة يقومون فيها بثوراتهم، فكانت معظم ثوراتهم تقوم عند قيام سلطان جديد، أو أثناء حكم سلطان قاصر، وهي فترات الإضطراب عادة في تاريخ دولة سلاطين المماليك.

كما اعتاد العربان أن ينتهزوا فرصة حدوث الأزمات الطبيعية كفرصة حدوث الفيضان، عندما تكسو مياه النيل أراضي الحياض، فيصبحون في مأمن من وصول قوات العسكر من العاصمة لردعهم، وعندئذ يغيرون على القرى فيذبحون الفلاحين ذبح المواشي، ويستولون على كل ما تصل إليه أيديهم من غلات ومواشي.

وبعد،،، هل ترتب على ثورات العربان في العصر الجركسي، نتائج خطيرة، تركت أثراً واضحاً على المجتمع المصري؟

والاجابة:

نعم أثرت ثورات العربان على المجتمع المملوكي الجركسي، وترتب على قيام هذه الثورات، عدة نتائج هامة هي :

- النتائج المترتبة على ثورات العربان :

- ساعد قيام الثورات وكثرة تكرارها على خلق نوع من الإنعدام الأمني في

ربوع البلاد، مما أوجد الإضطراب الإقتصادي في أحيان كثيرة، وتسبب في حدوث الغلاء في أحيان أخرى كثيرة.

– ترتب على كثرة حدوث الثورات، خروج التجريدات العسكرية التي يلزم لإعدادها الأموال الطائلة، مما تسبب في إرهاق الدولة ماديا وماليا.

– ترتب على خروج التجريدات العسكرية لردع العربان، فساد المزروعات وإنزال ألوان البلاء والظلم بالناس مما زاد من متاعبهم الإقتصادية، وتوقف جلب الغلال إلى أسواقه بالقاهرة.

– أثر قيام الثورات بالسلب على هيبة الحكام المماليك، وأفقدتهم الكثير من الإحترام والتقدير، من جانب فئات الشعب الأخرى، وساعدتهم على التمرد والعصيان.

– استغلت المماليك السلطانية (المستخدمة في التجريدات العسكرية) الفرصة، وطالبت سلاطينها المماليك بالمزيد من النفقة السلطانية لهم.

– لعبت ثورات العربان (وبخاصة في صعيد مصر) دوراً خطيراً في تشكيل السياسة في مصر، فمعظم هذه الثورات كانت تحدث عند اعتلاء سلطان ضعيف أو صغير لعرش البلاد، أو أثناء فترات الفتن والحروب التي تمر بها الدولة، ومثال ذلك ما ذكره المقريزي(192): في أحداث سنة 824هـ/1421م، عندما مرض السلطان المؤيد شيخ اضطربت الأمور بالبلاد، وخشى الناس من وقوع فتنة، فقد قال: "وكثر عبث المفسدين وقطاع الطريق ببلاد الصعيد، وفحش قتل الأنفس وأخذ الأموال هناك".

– صاحب قيام الثورات واستمرارها، حدوث المجاعات الإقتصادية، والطواعين وانتشار الأوبئة في سنوات عديدة من حكم المماليك، مما زاد من وطأة الأحوال على الشعب في مصر.

– حدوث خلل كبير في البناء الإجتماعي لبلاد العربان الذين قاموا بثورات، ومثال ذلك بلاد الصعيد، التي شهدت خللاً كبيرة في سكانها، نتيجة كثرة القتلى من الرجال في صراعهم ضد الجنود المماليك.

– **بوجه عام،** شكل العربان بتمردهم وثوراتهم عاملاً أساسياً في زوال دولة المماليك عندما أتيحت لهم الظروف بوصول العثمانيين إلى مصر،فكانوا السبب في

خراب مصر، بحيث انتهزوا هزيمة المماليك أمام العثمانيين، فقتلوا من الفلاحين عدداً لا يحصى، وهجموا على بلاد كثيرة ونهبوها، ولم يبقوا فيها مواشي ولا بقراً وغنماً، كما أسروا النساء، وقطعوا الطرقات على الناس، وروعوا أمنهم وسلامتهم.

وبعد ،،،

للحديث عن العلاقة بين العربان والمماليك أو " الحكام والمحكومين"، صورة أخري إيجابية، نستطيع أن نسميها بالولاء، الذي تمثل فيما يلي:

- مساعدة العربان للحكومة المملوكية، في وقت الحرب بالتجريدات التي تطلبها بحيث تقدم لها حاجتها من الأسلحة، الذخائر، المؤن، الخيول، الدواب[193].
- استعان سلاطين المماليك بالعربان المستقرين، والذين أطلق عليهم اسم"المزارعة" في مجال الزراعة، وعملوا منهم الخفراء، والمشايخ، والخولة، قضاة النواحي، الفقهاء، وزعماء القبائل.
- عهدت الدولة لهم بمسئولية حفظ النظام داخل الأقاليم التي يعيشون فيها، فهم مشايخ العرب وحكام هذه الأقاليم.
- قبول مشايخ العرب القيام بمهمة خفر حواجر الجبال ودروبها، وتأمين طرقها.
- قبول مشايخ العرب العمل بمهمة حراسة القوافل التي تعبر الصحراء.
- قبول المساهمة في حفر الخنادق وتعمير الطرق الموصلة لقلعة الجبل، محل إقامة السلاطين المماليك[194].
- الاستعانة بالعربان أحيانا، للقضاء على ثورات الفلاحين من المصريين.
- المساهمة في القبض على الأمراء الفارين[195].
- المشاركة في استقبال الوفود، وصنع الأسمطة والمدات الحافلة والولائم السطانية.

وكان الجزاء مقابل الولاء ما يلي :

- منح العربان الإقطاعات الحربية، مثلهم مثل الأمراء المماليك، بل زادوا عليهم في التمتع بالإقطاعات الوفيرة.
- منح العربان من جانب المماليك باستقلال محلي، حتى وإن كان محدوداً، فكان مظهراً لعلاقة الود والولاء لسلطنة المماليك.
- منح العربان حق وراثة المشيخات القبلية فيما بينهم.
- التخفيف أحياناً من قيمة أموال الضرائب المقررة عليهم.[196]

وهكذا،،،

قرب المماليك إليهم مشايخ العربان وأجزلوا لهم العطاء، وحاز العربان في عهدهم الكثير من امتيازات رجال السيف، الأمر الذي لم يصل إليه الأمراء المماليك أنفسهم، حيث تمتع زعماء العرب بالإقطاعات الوفيرة وتمتعوا باستقلال محدود في مشيخاتهم ووراثة هذه المشيخات في قبائلهم ونواحيهم.

وبالرغم من صورة الولاء هذه، فلنا هنا كلمة أخيرة ....

حقيقة أن العرب ساعدوا المماليك في أحيان كثيرة، وبطرق متنوعة ومختلفة، إلا أنهم لم يترددوا في الخروج عليهم، والثورة ضدهم إذا لاحت لهم الفرصة، هذا الخروج نتيجة الرفض الذي ظل سمة مميزة وواضحة للعلاقة بين العربان والسلاطين المماليك.

نتائج الدراسة :

- تقدم الدراسة بحثاً في حال العرب في مصر الإسلامية "بصفة عامة" منذ دخول الإسلام إليها، مروراً بالعصور التالية لذلك من عصر الولاة والخلافة العباسية، والدول المستقلة في مصر من الطولونية والإخشيدية فالفاطمية فالأيوبية.
- رصدت الدراسة ثورات العربان خلال العصر المملوكي الجركسي، بنحو ما يقرب من 62 سنة من سنوات العصر ذاته التي تمتد إلى نحو134 سنة.
- شكل العربان فئة هامة ومؤثرة في مجريات الأمور والأحداث في عصر دولة المماليك (البحرية والجركسية على حد سواء).
- شكل العامل السياسي دافعا هاما في قيام ثورات العربان في العصر المملوكي البحري، والجركسي بصفة خاصة، ولعب دوراً هاما ًفي إشعال نار هذه الثورات.
- لعبت الأحوال الإقتصادية التي مرت بها البلاد (مصر) دوراً هاما في قيام ثورات العربان.
- زاد عدد سنوات الغليان والثورة، من جانب العربان على عدد سنوات الهدوء والاستقرار، فقد بلغ مجمل سنوات الثورة والغليان " في العصر الجركسي" وحده نحو ستون عاماً، (60) من (139) هم مجمل سنوات الحكم المملوكي الجركسي.
- اختص الوجه القبلي بنصيب الأسد في ثورات العربان خلال العصر

الجركسي، على وجه التحديد، فكانت غالبية الثورات منه وفيه أحداثها الدامية.

- أصيبت الدولة بأرهاق مادي شديد، بسبب التجريدات وما تتكلفه، وبسبب جزل العطاء للعسكر المجرد الخارج لتأيب الثوار.

- نتج عن الثورات، انهاك شديد للبلاد التي قامت فيها ثورات، حيث نهبت الدولة وقوادها العسكرية، مواردها، وانتزعت خيراتها من خيول وأغنام وأبقار وخلافه.

- كانت الثورات سبباً مباشراً في تغير وظيفة كاشف الوجه البحري والقبلي وعزلهم من هذه الوظيفة، إما لقتلهم أو لعجزهم عن صد تمرد العربان.

- كانت الثورات سبباً مباشراً في حدوث الغلاء الاقتصادي بالبلاد نتيجة لوقوع الفتن بين الأتراك والعربان.

- على الرغم مما تمتع به العربان من امتيازات(في العصر المملوكي الجركسي) لم يصل إليها رجال السيف والأمراء المماليك، لم يمنعهم ذلك من الثورة ضد المماليك ومنازعتهم السطان والحكم.

الملاحق:

ملحق (1): المناشير السلطانية:

" منشور بمنح إقطاع "

" الحمد لله الذي أرسل ديم كرمنا دائمه الإماد، وشمل بجودنا كل حاضر وباد، وجعل أيامنا الشريفة تخص بطولها كل طب النجار طويل النجاد.

نحمده حمداً بحلاه يزدان ومن جداه 'يـزاد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمهد لقائلها خير مهاد، ونشهد أن محمداً عبده ورسولهالكرم الأجداد الرحيب الناد، أرسله فصلاح الفساد وإرباح الكساد، وكشف العناء، وإزالة العناد، صلى الله عليه وعلى آله الذين أرهفوا في جهاد أعداء الله البيض الجداد وأرغفوا السمر الصعاد وعلى اصحابه الذين كانوا يوم الفخار السادات ويوم النزال الآساد وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد،، فإن أولى من عمرنا بكرمنا مربعه وناديه، وأمطرنا ثري أمله بغاديه مغادية، وسفر له وجه إحساننا عن واضح أسرته، وقابله إقباله فقدمه على قبيلته وميزه على أسرته، من أخلص في طاعتنا ضميراً، واتبع جادة موالاتنا، فأصبح

بتجديد نعمنا جديداً، وحدا في خدمتنا أحسن حذو، وعرف بجميل المخالص في الحضر والبدو، وأشتهر بالشجاعة عن التي طالما فرقت جموعاً، وأقفرت من الأعداء ربوعاً، واتصف بالإقدام الذي ما ألف عن محارب رجوعاً، كم أنهل مثقفاته في دماء النحور، وأشرع صعاده فأوردها الأوردة وأصدرها في الصدور، ورفع من أسنتها في ليل النقع ناراً أقراها لحوم العدا وأضيافها الآساد والنسور.

ولما كان فلان،، هو الممنوح هذا الإنعام الغمر، والممدوح في مواقف الحروب بإقدام عمرو.

فلذلك، خرج الأمر الشريف -لابرحت شاملة مواهبه، هاملة سحائبه- أن يجري في إقطاع ....[197]

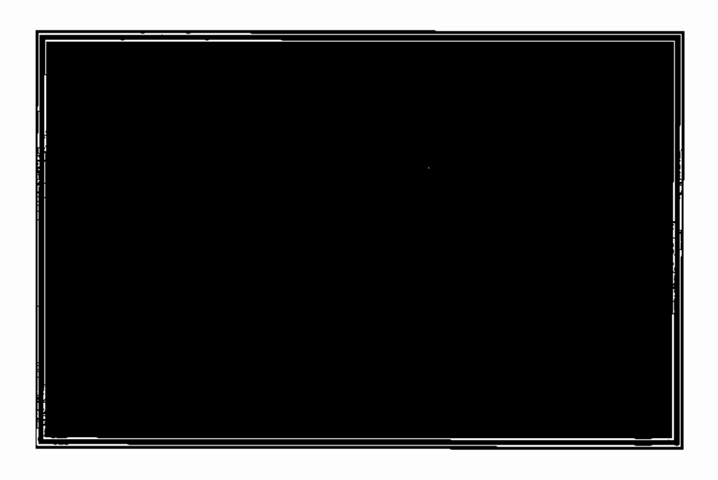
ملحق (2) الوصايا السلطانية: (وصية أمير العرب)

" .... والتقوى درعك الحصين، والشرع الشريف سبيلك المبين، والحدود والقصاص بهما تمنع المحارم. والجهاد فإن فيه شفاء لصدور الصوارم، فاقتد بالإنصاف زمام زمانك، وأثن إلى الحق عنانك، وفرغ فكرك لمصالح الإسلام، وأمنع كل طارق حتى الطيف في الأحلام، ومزق بعزمك جلاليب الديجور، ومزق بقوتك والصبح بالكوكب الدري منحور، وأستعلم أخبار العدا في طليعة كل صباح، وتأهب لهم غرب يوم يجيء وقاح، واثبت في اللقاء ثبات مجرب، وتطلع إلى جموعهم التي كم ناظر إليها مع الصبح نجم مغرب، ولا تفارق من وجه البلاد وسيما، ولا تشم من غير الطيبة نسيماً، إذا نزلت على الباب فلا تطلب سوى البراعة له قسيماً ولا تستبدل بالفرات وارداً، ولا تتبعك الناظر إذا أرسلت طرفاً إلى سواها رائداً، واضرب قارعة الطريق خيامك وانشر للمعتمين غمامك وطنب دخانك إلى السماء وأبسط حزامك وأقبل على الذكر الجميل فكل شيء غاد ورائع، وأنزل بساحتك الضيوف وأخر لهم كوم الهجان وكل طرف سائح، وأحفظ أطراف البلاد ممن يتولع ببنائها أو يترصد لمابع أسودها أو مراتع غزلانها، وخص الرعايا برعاية تنبت لهم الزوع وتدر من سوائمهم الضروع، ولا تدخل إلى البرية إلا إذا لم يبق لك بالبلاد مقام ولا منزل بين شبح وهزام، وأما العرب فهو أميرهم المطاع وآمرهم وهم له أتباع، وهو يعرف مقاديرهم وكيف يعامل كبيرهم وصغيرهم، فليجمعهم على طاعتنا الشريفة ما استطاع وليمنعهم من طبع الطباع وليصد عهم

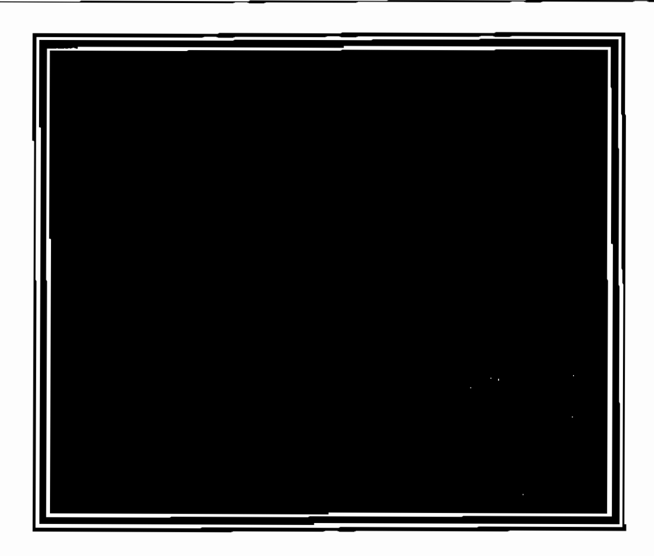
بالحق على حكم استحقاقهم في كل إقطاع وإقتطاع، وهو بما يصلح لركابنا العالي من الخيل جد خبير وبما يناسب سرجنا الشريف، من كل سابق وسابقة ما لها نظير، فلو أخذ نفسه وإخوته وبني عمه وأهله وعشيرته والأقربين بأن يكونوا بالجياد إلينا متقربين ومتى وردت عليه مراسيمنا الشريفةبأمر سارع إلى العمل بحكمة أو اتصال متجدد.

وهذا تقليدنا الشريف حجة على من سمعه أو قصه، في خلافه تفريق كل كلمة مجتمعة. ومرسومنا أن ينقل مضمونه إلىالآفاق ويعلم به كل مصعد إلى الشام ومنحدر إلى العراق ليحدو به كل حاد والركاب تساق ويسمر به في كل حي سامر، يتجاذب حواشي حديثه الرفاق، ويتناجي كل راكب مطية وفارس مطهمة عناق، فمن بلغنا أنه حاد عن أمره أو تأول في نقصه لرفعة قدره، فالسيف أسبق شيء إلى نحره والموت أعجل إليه لأنه فتح من فمه ما كان مسدوداً من باب غيره......"[198].

ملحق(3): الصور:



صورة رقم (1)
تجريدات المماليك العسكرية على العربان



صورة رقم (2)
تمرد العربان في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون



صورة رقم (3)
معيشة العربان في الصعيد والوجه البحري

هوامش الدراسة

(1) عبر العرب عن هذا الرفض، بأول ثورة لهم ضد المماليك وحكمهم، فكانت ثورة حصن الدين بن ثعلب "شيخ أولاد أبو جحش" بالوجه البحري، والتي سوف نعرض لها بالتفصيل في الصفحات الآتية.

(2) العرب حكام مصر منذ الفتح الإسلامي، وقد تميزوا على غيرهم ممن فتحوا مصر في مختلف العصور السابقة بأنهم اندمجوا في الشعب المصري، وامتزجوا به امتزاجا قويا، وكان لهذا الامتزاج أكبر الأثر في تغلب الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي في وادي النيل، حتى لو كان هذا الامتزاج بعد مضي فترة من الزمن.

(3) بلغ عدد المسلمين الذين شاركوا في الفتح الإسلامي لمصر نحو أربعة آلاف جندي عربي مسلم؛(ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1999م، ص 61).

(4) كان تخطيط المدن من أهم الظواهر التي سارت جنباً إلى جنب مع الفتوحات العربية الإسلامية، وذلك رغبة في إنشاء مراكز إدارية وحربية ودينية في هذه البلاد الجديدة التي فتحها العرب المسلمون؛(نفسه، ص ص 98-127).

(5) نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص، والفسطاط في اللغة العربية هو "بيت يتخذ من الشعر، أي الخيمة"؛ (مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، القاهرة، 1990، ص 471).

(6) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص 70.

(7) ديوان الجند : أسسه ووضع نظامه الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب سنة 20هـ/ 640م، وفيه حصر لأسماء الجنود المقيمين بالقطر المفتوح ليتسنى صرف نصيبهم من العطاء.

(8) عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص 281.

(9) بعد أن تم للعرب فتح مصر أبقوا فيها الجيش العربي دون أن يشركوا فيه المصريين، فلم يرد في صلح بابليون الأول أو الثاني، أية إشارة تدل على السماح للمصريين بالاشتغال بالجندية، ولعل ما دعا العرب إلى انتهاج تلك السياسة خوفهم من أن يحيى المصريون روح القومية المصرية على حسابهم، وأن يقوموا بطردهم من بلادهم متى حانت لهم الفرصة، فرأوا أن يبعدوهم عن الأعمال الحربية وألا يتركوا لهم إلا الأعمال المدنية، أو ربما كان العرب يشكون في كفاءة المصريين الحربية، إذ كانوا زمن الفتح قد غمرتهم روح التواكل والاستسلام، بينما كان العرب حينذاك شعبا يتقد حماسة وشجاعة؛(ألفريد بتلر: فتح العرب لمصر، الترجمة العربية للأستاذ محمد فريد أبو حديد، القاهرة، 1933م، ص172؛ جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1960م، ص 25).

(10) بلغ عدد العرب المسلمين فاتحي مصر نحو أربعة آلاف عربي، في حين بلغ عددهم في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان (40-60هـ/ 660-679م) ما يقرب من أربعين ألف عربي، وفي عهد الخليفة مروان بن الحكم (64-65هـ/ 683-684م) بلغ عدد العرب نحو ثمانين ألفا، مما يعني أنه تزايد حوالي سبع مرات في أقل من نصف قرن تقريبا، وفي عهد هشام بن عبد الملك(115-125هـ/ 733-742م) نقل إلى مصر من بيوتات عرب قيس الكبرى ما يقرب من ثلاثة آلاف أهل بيت، وكان تجمعهم بالحوف الشرقي والغربي من

مصر ؛ (ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص 61؛ عبد الله خورشيد البري : المرجع السابق، ص 65).

(11) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1966، ص ص 57-58.

(12) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، تحقيق د/محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص 101.

(13) وتفاصيل ذلك، استقدم الوالي عبيد الله بن الحباب بناء على طلب هشام بن عبد الملك (الخليفة الأموي) مائة بيت من نضر، ومائة بيت من بني سليم، وأعطاهم أموالاً من صدقة العشور اشتروا بها الجمال والخيول، واشتغلوا بنقل الغلات إلى بحر القلزم (الأحمر حاليا)، كما اشتغل كثيراً منهم فيما بعد بالزراعة؛(ايمان محمد عبد المنعم : العربان ودرورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن 19، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص 15).

(14) نزل العرب في صعيد مصر، وزادت أعدادهم فيه على أثر سقوط دولة الأمويين (132هـ/ 749م)في دمشق، وهروب الكثيرين منهم من أمام العباسيين حكام الدولة الإسلامية الجديدة ؛(رضوان محمد الجنايني : القبائل العربية في مصر في القرن الثالث والرابع الهجري، رسالة ماجستر غير منشورة، آداب القاهرة ، 1976، ص38).

(15) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر، ص 58.

(16) عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية، ص 281.

(17) ظل العرب (في مصر) طوال عصري الخلافة الراشدة والأموية على نفس أوضاعهم من حيث الرعي والجندية، وإن لم يخل الأمر من قيام بعض الثورات في عصر الأمويين، كان محركها العصبية القبلية كدافع أساسي لتحريك مجرى الأحداث، فقد كرهت القبائل العربية بمصر زعامة قريش وسيادتها منذ الجاهلية والتي زادت مع الإسلام، فاستغلت القبائل العربية الأحداث التي جرت في عصر الدولة الأموية لتزعزع هذه السيادة القريشية فضلاً عن السعي وراء الوصول إلى المناصب وانتزاع السلطة من بين أيدي الأمويين ؛(ممدوح عبدالرحمن الريطي : دور القبائل العربية في صعيد مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2009م، ص 128).

(18) شهد عصر الخليفة العباسي المعتصم (318- 327هـ/ 930-938م) نقطة تحول في حياة العرب (البدو) في مصر، بسبب هذا الأمر بإسقاط العرب من ديوان الجند بمصر وقطع أعطياتهم، مما ترتب عليه أنتشار العرب في الريف والمدن المصرية، وزاولوا نشاط السكان المستقرين من زراعة وغيرها ؛(المقريزي : الخطط، ج1، ص 151).

(19) لمزيد من التفاصيل عن أوضاع العرب (في مصر) وثوراتهم خلال عصر الاستقلال الذاتي، راجع : ممدوح عبد الرحمن الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص ص 144-161).

(20) شكل عصر الخليفة المعتصم العباسي (318- 327هـ/ 930-938م) نقطة تحول في حياة العرب في مصر، فقد أستكثر (المعتصم) من الجند الأتراك في عاصمة الدولة العباسية، ثم لم يلبث أن أرسل إلى كيدر نصر بن عبد الله واليه على مصر (217-219هـ/ 832-834م) وأمره بإسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع أعطياتهم، مما ترتب عليه

أنسياح العرب في الريف والمدن المصرية، وزاولوا نشاط السكان المستقرين؛(المقريزي : الخطط، ج1، ص 151).

(21) لمزيد من التفاصيل عن أوضاع العرب (في مصر) وثوراتهم في العصر العباسي الثاني، راجع : حسن أحمد محمود : مصر في عهد الطولونيين، القاهرة، 1944م، ص ص7-9؛ ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص 137).

(22) تغير حال العرب بقرار المعتصم بقطع أعطياتهم من الديوان، حيث جردهم من صفتهم الحربية كغزاة، وما كان يترتب علي هذا العطاء من امتيازات طبقية يتمتعون بها، وتحولوا إلى مواطنين عاديين دون تمييز؛(عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية، ص 68).

(23) نسبة إلى مؤسسها أحمد بن طولون، وقد استمرت هذه الدولة في الفترة من (254-292هـ/ 868-904م).

(24) نسبة إلى الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب "رضي الله عنه"، وكانوا ينادون بأحقية البيت العلوي في الخلافة الإسلامية منذ عهد الدولة الأموية.

(25) ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل العربية، ص 144.

(26) خمارويه بن أحمد بن طولون، ثاني حكام الدولة الطولونية، وقد امتد حكمه في الفترة من (270-282هـ /883-895م).

(27) ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل العربية ، ص 233.

(28) نسبة إلى مؤسس الدولة الإخشيدية، محمد بن طغج الإخشيدي، وقد استمر حكم هذه الدولة في الفترة من 323-358هـ/934-968م).

(29) ممدوح عبد الرحمن : دور القبائل العربية، ص 154.

(30) امتدت سنوات حكم العصر الفاطمي "بوجه عام في المغرب ومصر" في الفترة من 297—567هـ إلى 909-1171م.

(31) ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل العربية، ص 155.

(32) المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفا، تحقيق وتعليق د/ جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، ص 181.

(33) ايمان محمد عبد المنعم : العربان ودورهم، ص 16.

(34) امتدت سنوات حكم الدولة الأيوبية في الفترة من 569-648 هـ/ 1173- 1250م.

(35) ايمان محمد عبد المنعم : العربان ودورهم، ص 16.

(36) سحر السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 2005م، ص 231.

(37) عدنان محمد فايز الحارثي: عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي (564-589هـ/1168-1193م)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999م، ص 178.

(38) شجر الدر، تسلطنت على حكم مصر نحو ثلاثة أشهر إلا أياماً من سنة (648هـ/1250م)، ولذلك اعتبرها بعض المؤرخين، ومنهم المقريزي أول حكام البيت المملوكي؛(المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ج1، ص361؛ ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1984م، 295).

(39) عز الدين أيبك، حكم مصر بعد زواجه من شجر الدر، وحكم في الفترة من (648-655هـ/ 1250-1257م).
(40) السلطان سيف الدين قطز، تولى حكم سلطنة المماليك في الفترة من (655-657هـ/ 1257-1258م).
(41) السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس الأول " البندقداري" تولى حكم السلطنة المملوكية في الفترة من (658-676هـ/ 1259-1277)، ويعتبره بعض المؤرخين المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في مصر والشام.
(42) المقريزي : الخطط، ج1، ص ص 151-152.
(43) كان للعرب أو العربان في مصر المملوكية نظامهم القبلي الخاص بهم، وشيخهم أو رئيسهم الذي يرجعون إليه في كل شيء؛(سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، النهضة العربية، القاهرة، 1962م، ص 54؛ عبد الله خورشيد: القبائل العربية، ص ص 285-288).
(44) ممدوح عبد الرحمن الريطي: دور القبائل العربية، ص 233.
(45) الإقطاع في مصر في العصر المملوكي، أمر شخصي بحت، فلا دخل لحقوق الملكية أو لأحكام الوراثة فيه، فالمقطع يحل في الاقطاع محل السلطان ليتمتع بغلات الاقطاع وايراداته فقط، ثم يؤول الإقطاع إلى السلطان بمجرد انتهاء المدة المتفق عليها، أو بسبب وفاة المقطع إذا كان الإقطاع مدى الحياة، أو بسبب إخلال المقطع بشروط العقد القائم،فالاقطاع هبة من السلطان لأتباعه ومن يريد منهم،وهو بنفسه يتولى الحاق المماليك بالخدمة وترتيب درجاتهم، فإذا ما حضر أمامه من يطلب الاقطاع، ووقع اختياره على أحد، أمر السلطان ناظر الجيش بالكتابة، فيكتب ورقة تسمى (المثال) وهي أول الأوراق الرسمية إيذاناً بإعطاء المماليك إقطاعاً، ويقدم المثال للسلطان أثناء جلوسه بدار العدل، ليشمله بالموافقة، ثم يرسل إلى ديوان النظر لتسجيله وحفظه فيه، ويكتب بذلك ما يسمى "مربعه"وفيها يكتب اسم المعين على الإقطاع ورتبته، وباقي المعلومات التفصيلية عنه، ثم ترسل المربعه هذه، إلى ديوان الإنشاء، ليحيلها كاتب السر إلى من يكتب بها " منشور" الإقطاع، الذي يعد آخر الأدوار التي يمر بها " المثال"، وهي التي تجعل الإقطاع شرعياً بيد المقطع الجديد.
وعن فئات الأمراء المستفيدين من الإقطاع نذكر أنهم على النحو التالي: أمراء المائة، أمراء الطبلخاناه (العشرين)، أمراء العشرة، أمراء مقدموا الحلقة؛ (إبراهيم طرخان : دراسات في تاريخ المماليك، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، ص ص 330-337). وللمزيد راجع : السيد الباز العرني: الإقطاع الحربي بمصر زمن سلاطين المماليك، القاهرة، 1956م.
(46) سعيد عبد الفتاح عاشور : المجتمع المصري، ص53.
(47) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق2، ص 386.
(48) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهر، القاهرة، دار الكتب، القاهرة، 1939م، ج7، ص13.
(49) ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، مصر، 1906م، ص 188.

(50) المقريزي : السلوك، ج1، ق2، ص380؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ص 9؛ أحمد مختار العبادي: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 1988م، ص ص 130-132.

(51) محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (648-923هـ/1250-1517م)، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1997م، ص 47.

(52) الأمير طرنطاي: أمير مملوكي تولى نيابة السلطنة المملوكية البحرية أيام السلطان المنصور قلاوون، 'توفي مقتولاً في عهد الأشرف صلاح الدين خليل سنة 689هـ/ 1290م بأمر منه لعداوة قديمة بينهما؛(ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 360).

(53) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج7، ص 334.

(54) المقريزي : السلوك، ج1، ص 754.

(55) ويقصد بهما الأميرين المملوكين: سلار التتري المسلم نائب السطلنة المملوكية، والأمير بيبرس المنصوري أتابك العساكر، عهد الناصر محمد بن قلاوون، اللذين كانا بمثابة الحاكم الفعلي للدولة المملوكية؛(محمد عبد الغني الأشقر: سلار الأمير التتري المسلم، نائب السلطنة المملوكية في مصر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 2000م، ص ص 50-52).

(56) ابن اياس : بدائع الزهور، ج1، ق1، ص ص 360-361.

(57) بيبرس الدوادر: 'زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة "عصر سلاطين المماليك"، ج9، تحقيق زبيدة محمد عطا، دار عين للدراسات الإنسانية والبحوث الإجتماعية، القاهرة، 2001م، ص ص 291-293.

(58) صلاح أحمد هريدي : الصعيد في العصر العثماني، تقديم أ.د عمر عبد العزيز عمر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 2006م، ص164.

(59) بيرس الدوادر : زبدة الفكرة، ص ص 291-293؛ محمد عبد الغني : سلار نائب السلطنة، ص 52.

(60) هو السلطان الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون، حكم الدولة المملوكية في الفترة من (752- 755هـ/1351-1354م).

(61) صلاح هريدي : الصعيد في العصر العثماني، ص ص 164-165.

(62) للمزيد عن ثورات العربان في العصر المملوكي الأول من خلال السنوات 713/ 1313م، 731هـ/1330م، 748هـ/1347م في عهد الناصر محمد بن قلاوون، راجع : ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق1، ص ص 158-160؛ ص ص 443 - 444؛ ص 462؛ ص ص 515-523).

(63) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1998م، ص 143، 201.

(64) ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل العربية، ص 233.

(65) المقريزي : السلوك، ج1، ق2، ص380؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج7، ص 9؛ أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك، ص ص 130-132.

(66) المقريزي : إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1940م، ص82.

(67) Doop : L'Egypte au Commencement du Quiuzieme Siece'e , d'apres le traite d'Emmanuel piloti de Crete p.ix.

(68) ابن خلدون : المقدمة، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1900م، ص 183.
(69) Lane – Poole : A history of Egypt in the Middle Ages, p.p 252-253.
(70) 'مني بهم الفلاحون في ذلك العصر، فكانوا أشد بلاءً من المقطعين " أصحاب الإقطاع المملوكي " والجباة، وكثرة الضرائب، فضلاً عن عبثهم بالأمن والنظام.
(71) الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان، ج1،دار الكتب، القاهرة، بدون، ص 76.
(72) أولاد الكنوز :أو الكنـز، عرب يسكنون بعض أقاليم السودان وصعيد مصر، وكانوا أول من كون إمارة عربية في أسوان وشمال النوبة، حملت إسمهم؛(المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، القاهرة، 1950م، ص 44؛ محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، طبعة مزيدة ومنقحة، 1996م، ص ص 31-32). وللمزيد من التفاصيل راجع :
Mac Michael : A history of Arabs in The Sudan, London, 1922, vo1.1, p.148.
(73) الصيرفي : نزهة النفوس، ج1، ص120.
(74) نفسه، ص 159.
(75) الصيرفي: نفسه، ص 167.
(76) المقريزي : السلوك، ج5، ص 455.
(77) الصيرفي : نزهة النفوس، ج1، 425.
(78) قطلوبغا الطشتمري: أمير مملوكي، تولى عدة وظائف منها أمرة المجلس، أمرة سلاح، حجوبية، ثم نيابة الوجه القبلي، 'توفي في سنة 798هـ/1395م؛(ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 477).
(79) الصيرفي : نزهة النفوس، ج1، ص 429.
(80) نفسه، ص ص 430-431.
(81) نفسه، ج2، ص147.
(82) المقريزي : السلوك، ج1، ص386.
(83) نفسه، ص ص 386-395.
(84) الإستادار: لفظ فارسي مكون من " استذ" ومعناه الأخذ، و"دار" ومعنهاه الممسك، أي المتولي للأخذ، وهو المسئول عن أمر البيوت السلطانية كلها من الشرابخاناه والمطابخ، ويماثل في عصرنا الحديث ناظر الخاصة الملكية؛(محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، ص 28؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1990م، ص 15).
(85) الصيرفي : نزهة النفوس، ج2، ص420.
(86) المقريزي : السلوك، ج5، ص ص 430-435.
(87) نفسه، ص ص 491-493.
(88) الصيرفي : نزهة النفوس، ج2، ص442.
(89) المقريزي : السلوك، ج5، ص ص 56-60.
(90) الصيرفي : نزهة النفوس، ج3، ص69.
(91) نفسه، ج3، ص 147.

(92) نفسه، ج3، 278.
(93) نفسه، ص310.
(94) نفسه، ص313.
(95) نفسه، ص 320.
(96) نفسه، ص ص 321-322.
(97) نفسه، ص 373.
(98) نفسه، ص 406.
(99) أبو تيج : قاعدة مركز أبوتيج بصعيد مصر، من البلاد المصرية القديمة؛(محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م، قسم2، ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص 14).
(100) والمقصود الأمير الأتابكي يشبك المشد، المعروف بالسودوني، ُتوفي في شعبان من سنة 849هـ/1445م؛(ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 251).
(101) نفسه، ج4، ص 97.
(102) البهنسا: أو البهنسي، كورة من كور الصعيد في العصر المملوكي، مما يلي الجيزة من الجهة الجنوبية؛(محمد رمزي: القاموس الجغرافي، قسم2، ج4، ص ص 211-212).
(103) المقريزي : السلوك، ج7، ص47.
(104) الصيرفي: نزهة النفوس، ج4، ص208.
(105) نفسه، ص 302.
(106) تمرباي: أمير مملوكي، تولى وظيفة رأس نوبة النوب في عام 848هـ/ 1444م، وصار بعدها باش العساكر المملوكية، ُتوفي في عام 853هـ/ ؛(ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 273).
(107) رأس نوبة النوب: أو رأس رءوس النوب، أي كبيرهم، والنوبة فرقة من الجند تتناوب على حراسة السلطان المملوكي؛(حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، النهضة المصرية، القاهرة، 1978م، ص 301؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ، ص 81).
(108) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج1، عالم الكتب، القاهرة، ج ا، ص ص 164-165.
(109)جرباش المحمدي: المعروف بكرت، تولى من الوظائف الكبرى تقدمة ألف، وأمرة مجلس، وأمرة سلاح، والأتابكية، ُتوفي في نحو سنة 867هـ/ 1462م؛(ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 404).
(110) مقدمو الألوف: جمع مقدم ألف، رتبة حربية خاصة بأرباب السيوف في العصر المملوكي، وتقرن عادة بلقب أمير مائة، وفي خدمة حاملها مائة مملوك من الفرسان، وهو مقدم في الحرب على ألف جندي من أجناد الحلقة؛(حسن الباشا: الألقاب، ص 488).
(111) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 212.
(112) أميركبير: لقب يدل على أقدم الأمراء في بلاط السلطان المملوكي،ثم استخدم ليدل على أكثر الأمراء المماليك قرباً للسلطان؛(حسن الباشا: الألقاب، ص ص 186-188).
(113) إينال العلائي : أو إينال الأجرود، أمير كبير، من كبار الأمراء المماليك؛(ابن إياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 274).

(114) خير بك المؤيدي: أو خاير بك الأجرود، أمير مملوكي ومقدم ألف، ‘توفي في ربيع الأخر من سنة 859هـ/ 1454م؛(ابن اياس: بدائع الزهور، ج1، ق2، ص 324).
(115) ابن تغري بردي : حوادث الدهور، ج1، ص219.
(116) نفسه، ص 220.
(117) التوسيط: من وسط أي ‘قطع نصفين، عقوبة شهيرة في العصر المملوكي، وتقضي بشطر المحكوم عليه بالإعدام شطرين من الوسط؛(نظير حسان سعداوي: صور ومظالم من عصر المماليك، النهضة المصرية، القاهرة، 1966م، ص 4؛ علاء طه رزق: السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 2002م، ص ص 151-153).
(118) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج1، ص 228.
(119) نفسه، ص 286.
(120) نفسه، ص ص 363-364.
(121) أمير مجلس: المتحدث على الأطباء ومن شاكلهم، كما يتولى أمر مجلس السلطان المملوكي أو الأمير في الترتيب وغيره؛(القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص18).
(122) ابن تغري بردي: حوادث، ج1، ص ص406-407.
(123) نفسه، ص 446.
(124) نفسه، ص447.
(125) نفسه، ص ص451 - 453.
(126) نفسه، ص 492.
(127) أمراء الطبلخاناه : أو أمراء الأربعين، وظيفة صاحبها يشرف على أربعين مملوكا من المماليك السلطانية؛(القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 15).
(128) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج4، ص ص 494-495.
(129) نفسه، ص 497.
(130) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج16، ص ص 83-84.
(131) نفسه، ص ص201-202.
(132) نفسه، ص 237.
(133) أمراء الألوف: جمع أمير ألف وهو ذاته مقدم الألف وقد سبق التعريف به في حاشية رقم 110.
(134) ابن تغري بردي: النجوم، ج16، ص239.
(135) نفسه، ص 241.
(136) حاجب الحجاب: منصب عسكري، صاحبه من أرباب السيوف مقدمي الألوف، له حق الفصل في قضايا ومخاصمات الأجناد والمماليك، وهو يشبه مدير إدارة القضاء العسكري في القوات المسلحة حاليا؛(حسن الباشا: الألقاب، ص251؛ محمود نديم: الفن الحربي المملوكي، رسالة ماجستيرغير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1982م، ص 164).
(137) ابن تغري بردي: النجوم، ج16، ص 253.

(138) المماليك السلطانية : فرقة واحدة من عسكر السلطان المملوكي مؤلفة من عدة فئات هي: الخاصكية"حاشية السلطان المقربة"، الجلبان أو الجلب أو الأجلاب "مشتروات السلطان الجديد الحالي"، السيفية "مماليك كبار الأمراء"، وأخيراً القرانيص" مماليك السلطان القدامي السابقين؛(القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص ص 12-13؛ أنطوان خليل ضومط: الدولة المملوكية، منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت، لبنان، 1971م، ص 22 وما بعدها).

(139) نفسه، ص 255.

(140) نفسه، ص271.

(141) ابن اياس : بدائع الزهور، ج3، ص 12.

(142) يشبك الدوادار: يشبك من مهدي، من كبار الأمراء المماليك، توفي في رمضان من سنة 885هـ/1480م؛(السخاوي: الضوء اللامع، ج10، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ص 272-274).

(143) ابن تغري بردي : النجوم، ص 275.

(144) الدوادار: المسئول عن نقل الرسائل والأمور عن السلطان وعرض البريد عليه؛(حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج2،، القاهرة، 1996م، ص ص 535-536).

(145) الخوزقة : من العقوبات التعذيبية المقترحة في العصر المملوكي، ويقصد بها: رفع المذنب إلى أعلى ليهبط ثانياً فوق عامود مدبب الأطراف، مما يؤدي إلى هلاكه؛(علاء طه رزق: السجون والعقوبات، ص 158).

(146) سلخ الجلد : السلخ والشوي من عقوبات الإعدام في العصر المملوكي، وقد اقترنا بالمساجين من زعماء العربان كنوع من التنكيل والتشفي فيهم لما اقترفوه من جرائم استهدفت أمن الدولة السياسي وزعزعة الإستقرار الاقتصادي، وترويع الأهالي؛(علاء طه رزق: السجون والعقوبات، ص ص 148-149).

(147) ابن اياس : بدائع الزهور، ج3، ص 43.

(148) نفسه، ص 62.

(149) بنو جرم : بطن من بطون عرب الشام، ينتموا إلى قضاعة؛(القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص 89).

(150) بنو وائل: بطن من بطون جذام، أقدم القبائل العربية قدوماً إلى مصر، حيث قدموا مع عمرو بن العاص عند الفتح الإسلامي، واستقروا بها من وقتها؛(المقريزي: البيان والإعراب، ص 47؛ عبد الله خورشيد: القبائل العربية، ص ص 196-198).

(151) نفسه، ص ص 70-71.

(152) الأمير أزبك: هو أزبك من ططخ الظاهري، حظي بمكانة رفيعة في دولة الأشرف قايتباي، توفي في رمضان من سنة 904هـ/1498م؛(ابن اياس: بدائع الزهور، ج3، ص ص 413-414).

(153) سجن المقشرة: من سجون القاهرة في العصر المملوكي، بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمي؛(المقريزي: الخطط، ج2، ص ص 188-189).

(154) ابن اياس: بدائع الزهور، ج3، ص75.

(155) نفسه، ص 102.

(156) نفسه، ص105.

(157) نفسه.
(158) نفسه، ص120.
(159) نفسه، ص 143.
(160) نفسه، ص 144.
(161) نفسه، ص 146.
(162) نفسه، ص 169.
(163) نفسه، ص 221.
(164) الأمير أقبردي: أقبردي من علي باي، أمير كبير، تولى عدة وظائف سنية منها: أمرة السلاح، والدوادارية الكبرى، والوزارة والإستادارية، توفي بحلب في ذي القعدة من سنة 904هـ/1498م؛(السخاوي : الضوء اللامع، ج2، ص 315).
(165) نفسه، ص 225.
(166) نفسه، ص 232.
(167) نفسه، ص 237.
(168) نفسه، ص 253.
(169) نفسه، ص 296.
(170) نفسه، ص 361.
(171) نفسه، ص 377.
(172) نفسه، ص 398.
(173) نفسه، ص 415.
(174) نفسه، ص 427.
(175) نفسه، ج4، ص 20.
(176) نفسه، ص51.
(177) نفسه، ص 72.
(178) نفسه، ص 93.
(179) نفسه، ص 104.
(180) نفسه، ص 115.
(181) نفسه، ص 145.
(182) نفسه، ص 180.
(183) نفسه، ص 214.
(184) نفسه، ص 256.
(185) نفسه، ص 293.
(186) نفسه، ص 294.
(187) نفسه، ص ص 305- 306.
(188) نفسه، ص 359.
(189) نفسه، ص ص 371-372.
(190) المقريزي: السلوك، ج1، ق2، ص 386.
(191) جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج2، ص ص 117-118.

(192) سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص50.
(193) المقريزي : السلوك، ج4، ق1، ص 549.
(194) راجع في ذلك أمثلة ما حدث في السنوات 791هـ/ 1388م، و822هـ/1419م،و 823هـ/1420م.
(195) مثال ذلك، ما قدمة " عربان هوارة لنصرة السلطان، وحفر خندق، وتعمير الطرقات الواصلة إلى القلعة سنة 791هـ/1388م" على حد قول الصيرفي في كتابه نزهة النفوس؛(الصيرفي : نزهة النفوس، ج1، ص 198).
(196) مثال ذلك، ما قام به العربان سنة 792هـ، من مسك جنق السيفي المرسل من أهل دمشق لكشف أخبار منطاش، فحملوه إلي السلطان وقتله؛(الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 311).
(197) مثال ذلك، ما حدث في سنة 857هـ/ 1453م، حيث "رسم السلطان بأن يحط عن البلاد بالوجه القبلي والبحري ربع ما كان يطرح عليهم الأيام الظاهرية جقمق من النطرون؛(ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج16، ص 46؛ حوادث الدهور، ج1، ص44).
(198) نقلاً عن القلقشندي : صبح الأعشى، ج13، ص ص 198-190.
(199) نقلاً عن : إبراهيم على طرخان : النظم الإقطاعية في الشق ألأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1968، ص ص 404-405.

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية :-

ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس(ت 930هـ/1523م)

بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، 5 أجزاء.

ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي(ت 874هـ/ 1469م)

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق د.محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، القاهرة، جزءان.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، 2009م، 16جزء.

ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م)

إنباء الغمر بأبناء العمر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1969م، 5 أجزاء.

ابن خلدون : ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م)

المقدمة، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1900م.

ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، القرشي المصري (ت257هـ/870م)

فتوح مصر وأخبارها، مكتبة المدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1999م.

ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى(ت749هـ/1349م)

التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، مصر، 1906م.

بيبرس الدوادر :

زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة "عصر سلاطين المماليك"، تحقيق د. زبيدة محمد عطا، عين للدراسات الإنسانية والبحوث الإجتماعية، القاهرة.

السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ/ 1496م)

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، 12 جزء.

الصيرفي: علي بن داوود الجوهري الصيرفي(ت 900هـ/ 1494م.

نزهة النفوس والأبدان، دار الكتب، القاهرة، بدون، 4 أجزاء.

القلشندي : أبو العباس أحمد بن علي بن القلقشندي (ت 821هـ/ 1418م)

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1903م، 13 جزء.

المقريزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م)

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطمين الخلفا، تحقيق وتعليق جمال الـدين الـشيال وغيـره، القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، 3أجزاء.
- إغاثة الأمة بكشف الغمة" تاريخ المجاعات في مصر"، الهيئة المـصرية العامـة للكتـاب، القاهرة، 1999م.
- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، القاهرة، 1950م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 3 أجزاء، الجزء الواحد 3 أقسام.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق د.محمد زينهم وغيره، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، 3 أجزاء.

ثانياً: المراجع العربية :

إبراهيم طرخان : " دكتور"

دراسات في تاريخ المماليك، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.

أحمد مختار العبادي : "دكتور"

قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 1988م.

ألفريد بتلر:

فتح العرب لمصر، الترجمة العربية للأستاذ محمد فريد أبو حديد، القاهرة، 1933م.

أنطوان خليل ضومط:

الدولة المملوكية، منشورات جامعة بيروت العربية، بيروت، لبنان، 1971م.

إيمان محمد عبد المنعم : " دكتور"

العربان ودرورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن 19، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م.

جمال الدين الشيال : " دكتور"

تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1960م، 1966م، جزءان.

حسن أحمد محمود : " دكتور"

مصر في عهد الطولونيين، القاهرة، 1944م.

حسن الباشا:

الألقاب الإسلامية، النهضة المصرية، القاهرة، 1978م.

رضوان محمد الجنايني :

القبائل العربية في مصر في القرن الثالث والرابع الهجري، رسالة ماجستير غير منـشورة، آداب القاهرة، 1976م.

سحر السيد عبد العزيز سالم: " دكتور"

دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 2005م.

سعيد عبد الفتاح عاشور : " دكتور"

المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، النهضة العربية، القاهرة، 1962م.

عدنان محمد فايز الحارثي:

عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي (564-589هـ/1168-1119م) ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999م.

علاء طه رزق: " دكتور"

السجون والعقوبات في مصر عصر سلاطين المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 2002م.

مجمع اللغة العربية :

المعجم الوجيز، القاهرة، 1990م.

محمد أحمد دهمان:

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1990م.

محمد سهيل طقوش:

تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (648-923هـ/1250-1517م)، دار النفائس ، بيروت، لبنان، 1997م.

محمد عبد الغني الأشقر:

سلار الأمير التتري المسلم، نائب السلطنة المملوكية في مصر، مكتبة مدبولي، القاهر، 2000م.

محمد قنديل البقلي:

التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

محمود الحويري:

أسوان في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 1996م.

محمود نديم:

الفن الحربي المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1982م.

ممدوح عبدالرحمن الريطي :

دور القبائل العربية في صعيد مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2009م.

نظير حسان سعداوي:

صور ومظالم من عصر المماليك، النهضة المصرية، القاهرة، 1966م.

ثالثا: المراجع الأجنبية :-

(1) Doop :
L'Egypte au Commencement du Quiuzieme Siece'e , d'apres le traite d'Emmanuel piloti de Crete p.ix.
(2) Lane- Poole :
- A history of Egypt in the Middle Ages.
- Social Life in Egypt.
(3) Schffer :
Voyage du Magnifique et tres illustre Chevalier Domenico Trevisan .
(4) Mac Michael (H.A):
A history of Arabs in The Sudan, London, 1922.